

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية



مذكرة ماستر

ميدان: اللغة والأدب العربي
فرع: الدراسات الأدبية
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

رقم: ح/34

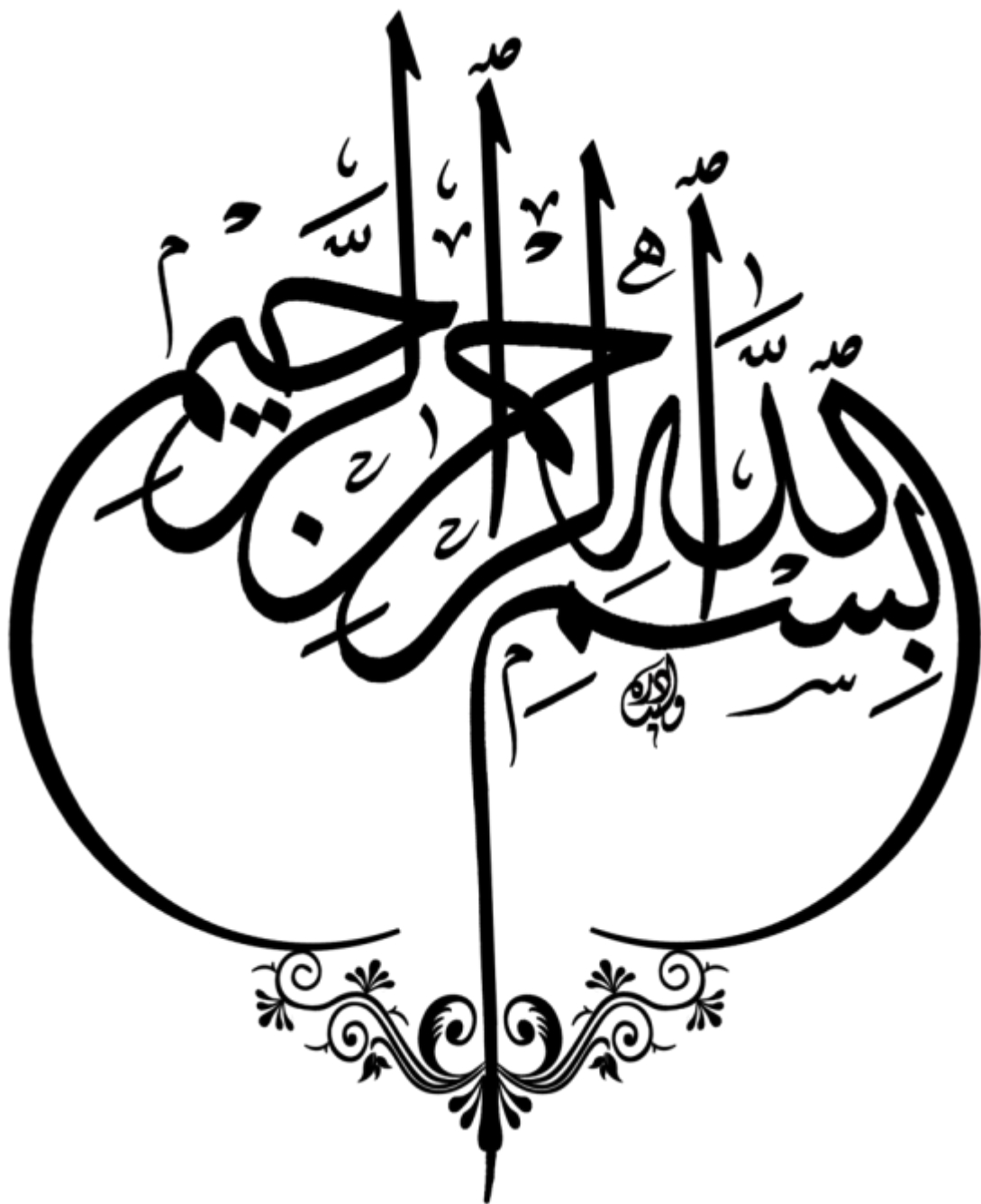
إعداد الطالب (ة):
هنانو خديجة
يوم: 28/06/2021

الآخر في رواية "سيرابا" لمحمد سعدون

لجنة المناقشة:

رئيس	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	هنية مشقوق
مقرر	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	طويل سعاد
مناقش	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	شهيرة برباري

السنة الجامعية : 2021/2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّؤُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَؤُوا
يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
(11) - سورة المجادلة - ﴾

صدق الله العظيم



شكر وعرفان

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك وإلى من بلغ الرسالة

وأدى الأمانة... ونصح الأمة... إلى نبي الله

" سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "

نتقدم بأحر عبارات الشكر والامتنان والتقدير إلى كل من أسهم وتعب

معي في إنجاز هذا البحث من بعيد أو قريب.

وأقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة "طويل سعاد" وإلى كل من

أمدني بالمراجع وأرشدني إليها، وإلى من مهد لي طريق العلم والمعرفة.

وأخيرا أقدم امتناني إلى جميع أساتذتنا الكرام بـ: "كلية الآداب واللغات

جامعة محمد خيضر بسكرة" .

إلى كل هؤلاء أقول شكرا جزيلا...



مقدمة



نجحت الرواية في احتضان القضايا الأدبية وبلورتها في قوالب فنية ، تعكس الواقع تارة وتشتغل على المتخيل تارة أخرى، فغدا المنجز السردي متكاملا بين حقيقة تخص الإنسان وما ينتمي إليه من واقع، وبين حقيقة أدبية تخص الأدب وجماليته وما ينطوي عليه من قضايا .

وتعد الرواية العربية حصيلة أدبية وفكرية تعكس هاجس الإنسان العربي الذي يسعى إلى التغيير في خضم المحافظة على الأصالة العربية ، فتنوعت بذلك معالمه وهو في طريق البحث عن الهوية، هذه الأخيرة التي باتت تنصهر تدريجيا نتيجة التصادم الواقع بين الأنا والآخر .

قضية الآخر والأنا من أبرز القضايا الأدبية التي صورتها الرواية العربية عامة والجزائرية خاصة لتحاكي معاناة الأنا العربية باعتبارها آخرا منبوذا من قبل أنا غربية تعد نفسها صاحبة أولوية .

وقد أجادت الرواية الجزائرية في تصوير صراع الآخر والأنا، وكان هذا واضحا في عديد من النماذج السردية الحديثة والمعاصرة أبرزها رواية "سيرابا" لمحمد سعدون، التي عملت على تصوير الصراع الحضاري الثلاثي الذي تتمازج فيه الأدوار وتتغاير بين سطوره، لتتناول الآخر الإفريقي في إطار مغاير نتعرف من خلاله على صراع الحضارات والعلاقات التي تربط الأنا بالآخر، في خضم الصراعات النفسية والدينية والحضارية ليثبت على هوية واحدة كل، هذا حدث ضمن صراع حضاري بين الحضارين الإسلامية والأوروبية، وقد كان الاختلاف بين الثنائية المعهودة للآخر والأنا والذي تفرع إلى ثلاثية تجمع أنواعا من الآخر والأنا في رواية سيرابا ، دافعا موضوعيا للبحث في إشكالات هذه الدراسة وتبين أهم ما استجد فيها وقد أثار هذا الموضوع غريزة الباحث الأكاديمي ، فجاء البحث معنونا بالآخر في رواية "سيرابا" لمحمد سعدون .

وقد أثارت هذه الدراسة مجموعة من التساؤلات، لعل أبرزها تلك التي تتلخص حول تظاهرات الآخر في رواية "سيرابا" والصراع الحضاري القائم بينهما ونختصرها في الآتي:

- كيف تأسست الجدلية القائمة بين الآخر والأنا في رواية "سيرابا" ؟
- وإلى أي مدى استطاعت الرواية أن تجسد الصراع الحضاري القائم بين الأنا والآخر؟

وقد هندسنا هيكل الدراسة وفق خطة جاءت كالتالي :

بدأناها بتمهيد حول الصورولوجيا ثم قسمنا العمل إلى فصل أول وكان نظريا تحت عنوان الآخر بين المفهوم والنشأة ، تناولنا فيه مفهوم الآخر لغة واصطلاحا وعلاقة الآخر بالأنا، أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان تجليات الآخر في رواية سيرابا وقد تناولنا فيه جدلية الآخر والأنا أما الفصل لثالث فجاء بعنوان صراع الحضارات في ظل ثنائية الآخر والأنا وتطرقنا فيه إلى الحضارة الأوروبية والحضارة الإسلامية والحضارة الإفريقية وختمنا بحثنا بخاتمة تضم أبرز النتائج المتوصل إليها، بالإضافة إلى ملحق يحتوي نبذة عن الروائي وملخص للرواية.

ونظرا لطبيعة الدراسة اتبعنا النقد الثقافي كإستراتيجية للكشف عن أغوار هذا البحث مع الاستعانة بالمنهج المقارن.

وقد اعتمدنا في انجاز البحث على مجموعة من المراجع كانت معينا لنا في الدراسة والتحليل أهمها:

صورة الأنا والآخر في السرد لمحمد الداوي. صلاح صالح ، سرد الآخر ، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، الذات والآخر تأملات المعاصرة في العقل السياسة والواقع لمحمد شوقي زين صورة الآخر في التراث العربي ماجدة حمود ، الآخر في شعر المتنبي لسعد محمد يونس الراشدي.

وقد اعترضتنا جملة من الصعوبات نذكر أهمها: تشعب الموضوع، واختلاف المشارب والرؤى في تناوله.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الخاص للأستاذة الفاضلة المشرفة على هذا العمل "طويل سعاد"،
التي ما انفكت تيسر لنا الطريق الصحيح في درب العلم والمعرفة، وكانت لنا نعم العون والمرشدة
أمد الله في عمرها وجعلها نبراسا لجامعتنا والله المستعان.

تخصیص



تمهيد عن الصورولوجيا:

انطلاقاً من المقولة التي مفادها أن الإنسان عدو لما يجهل وإيماناً بأن دراسة الصورة الأدبية (أو الصورولوجيا Inagologie)⁽¹⁾ التي تهتم أساساً بدراسة ثقافة الآخر وهويته ، وتبحث في المقاربات الأدبية، ارتأينا أن نعرِّج في البداية إلى توضيح الفكرة التي تنطلق منها الصورولوجيا والمبنية أساساً على انعكاس ثنائية الأنا والآخر والنظرة التي يحملها كل منهما فتتشكل بذلك صورة تلامس واقع الأنا وتعكس الرؤيا التي يحملها الآخر.

علماً بأن الله ميز الإنسان عن بقية المخلوقات بالعقل والتدبر وخصه بالتميز ، فبواسطته يكتسب الكثير من العادات الحسنة وكذا المذمومة ومن هنا ينتج لديه الاختلاف في كل ما يحتاج إليه أو يتجنبه، فقد يقع الاتفاق والاختلاف ومن هنا :

تعد الصورة الأدبية إبداعاً إنسانياً، تستمد حيويتها من الطبيعة المتجددة يعرفها **دانييل هنري باجو D.Aniel Henri Paoeaux** بقوله: " هي التعبير الأدبي أو غيره عن فجوة كبيرة بين نظامي الواقع الثقافي وهكذا، فالصورة الأدبية هي مجموع الأفكار والمشاعر حيال الأجنبي التي تتخذ من خضم التكوين الأدبي والإجتماعي والأنثروبولوجيا وحيث تصبح الصورة من عوامل الكشف عن الوظائف الإيديولوجية على نحو العنصرية والغرائبية otisme والمتخيل الاجتماعي"⁽²⁾

ومن خلال هذا التعريف نستشف بأن الصورة تقتضي التفاعل بين ثقافتين وطرفين مختلفين (الآخر والأنا) ولا تتجلى صورة الآخر إلا من خلال طبيعة العلاقة التي تقع بين الأنا والآخر كما تستوعب اختصاصات متعددة علم الاجتماع والتاريخ السياسي وعلم نفس الشعوب الأنثروبولوجيا.

(1) ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي ، الدار العربية للعلوم وناشرون، (متوارثات الاختلاف)، الجزائر ، ط1، 2010، ص 9.

(2) : محمد الداوي: صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1 ، 2013، ص6.

ولهذا ، فالصورة تعد عملا ثقافيا يقدم تفاعل الذات مع الغير ، ويكشف تعايش تفاصيل الحياة الاجتماعية والفكرية والروحية، بكل صفاتها وعفويتها، ومفاهيم الآخر وموروثاته الشعورية واللاشعورية .

الصورة هي الوسيلة التي بواسطتها تتم دراسة الواقع ومطابقتها لنموذج ثقافي موجود قبلها في الثقافة والدراسة ، ونتعرف على أسسها وعناصرها ووظيفتها الاجتماعية، ومن حيث أهمية الصورة في الدراسة الأدبية، فهي تعتبر من أهم فروع الأدب المقارن وهي تتطلب أدوات الناقد مثله ، لأن الطرق النقدية الحديثة ومناهجها الحديثة تتطلب مؤهلات ذاتية مثل الحساسية والذوق... الخ.

ففي هذه الأيام تعرف دراسة الصورة ازدهارا ملحوظا لهذا العلم، وذلك بسبب رغبة بعض المثقفين في سيادة مناخ التعايش السلمي، والبحث عن دور مؤثر في الحياة.

كما نلاحظ في الصورة التي تقدمها الآداب القومية للشعوب الأخرى، وتشكل مصدرا أساسيا من مصدر سوء التفاهم بين الشعوب والأمم والدول والثقافات سواء أكان هذا إيجابيا أم سلبيا، والمقصود من عدم فهم هذا هو تقديم صورة غير موضوعية للذات والآخر في الوقت نفسه، فحياة الإنسان لا تزدهر إلا أن عاش حياة اجتماعية متفتحة على غيره كما هي منفتحة على الذات.

وقد يقول قائل هناك عوائق عادة ما تكون ثقافية أو إدارية أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية تمارس قهرا على الذات وتمنعها من التفاعل مع الآخر.

ولهذا يمكننا أن نعتبر الصورة جزءا من التاريخ بمعناه الواقعي والسياسي ، كما تعتبر جزءا من الخيال الاجتماعي، والفضاء الثقافي والادبيولوجي فتتعرف من خلالها على الهوية القومية وفي الوقت نفسه على نظرتها للآخر أثناء مواجهتها له. (1)

(1) ينظر: محمد الداوي ، صورة الأنا والآخر في السرد، ص 6.

وتهدف دراسة صورة الآخر إلى تبين أثر العلاقة التاريخية بين "الأنا والآخر" في رسم الملامح المشوهة لكليهما، أي إظهار أثر العلاقات العدائية في شكل صورة غير إنسانية.

يقول "جوان مارك مور" Jeau Mark Moure في كتابه "LimaaOlalageLitteraur" إن القوة المجددة للصورة أي أدبيتها تكمن في الفجوة التي تفصلها عن مجموع التمثلات الاجتماعية التي رسخها المجتمع، فالهدف من الدراسة الصورة هو دراسة صورة الآخر وفق منهج علمي متوازن يحاول أن ينأى عن التشويه الإيجابي أو السلبي معاً⁽¹⁾

فدراستنا تجعلنا نتعرف على ذاتنا بشكل أفضل ، كما يفيدنا كذلك لفهم ذات الآخر فهي تعكس أشكال التشويه ذاتها، التعرف على بعض الإشكاليات الفكرية والاجتماعية والنفسية التي يعينها الأنا في رؤية الغير التي كثيرا ما تكون انعكاسا للجهل وعدم معرفة الآخر عن قرب.

ولهذا فنحن أحوج ما نكون في حاجة إلى دراسة مقارنة تستطيع أن تقيم توازيا بين الانفتاح الفكري على الآخر.

كما يجب أن لا نهمّل أثناء دراستنا الصورة أو بالأحرى علم الصورولوجيا" - لكونه أحد فروع الأدب المقارن - الآخر والأنا فهي التي تضيف الجانب الجمالي للصورة .

لأن الصورة ليست هي إعادة إنتاج الآخر، وإنما هي إعادة خلقه فكلما ابتعد الكاتب عن الخيال وانتقد الواقع الذي كثيرا ما يمويه الصورة المتداولة، أسباب كثيرة ومتعددة تبعده عن فهم الصورة جيدا ، ويرى جون مارك مورا أن الصورة يمكن أن ينظر إليها من المنظورين الآتيين:

أ- بوصفها طبوين: تتعامل الأنا مع الآخر بصفته يعيش في مجتمع بديل غني بموارده ومؤهلاته .

(1) د. محمد الداوي، صورة الأنا والآخر في السرد، ص 9

ب- بوصفها إيديولوجيا: تتميز الصورة (التمثيلات) بوظيفتها الإدماجية للجماعة (أو المجتمع أو الثقافة) وبمقتضاها تتعامل الأنا مع الآخر وفق تأويلها ومنظورها الخاصين اللذين يستمدان قوتهما من أصولها وطبيعتها ودورها في التاريخ.

فهي تسقط قيمها عليها، وتحاول إجبارها على تبني فلسفتها في الحياة والامتثال لموقفها من الوجود. (1)

ورغم هذا التضارب بين التصورين فهما يتكاملان بحيث لا يمكن وجود الأنا بدون الآخر والعكس صحيح وإن تباعدا وتنازعا يتفاعلا فيما بينهما سلبا أو ايجابيا.

وهذا ما نلاحظه في نظرة الغرب إلى الشرق أو نظرتهم حتى إلى المهاجرين، بحيث لم يعتبرهم مواطنين كاملي المواطنة رغم أنه فرض عليهم جنسيته فهم لا يتمتعون كغيرهم بنفس الحقوق التي يضمنها لهم الدستور الذي أسنوه والذي لا ينظر إلى الشعب الواحد نظرة تفرقة وبدون الاحتكام إلى هويتهم وانتماءاتهم الضيقة .

والواقع نلاحظه أن المهاجرين يعاملون كأجانب تعسر اندماجهم في المجتمع الجديد، إلى جانب ما يتعرضون له من تمييز عنصري وعزلة ثقافية والإحساس بالكرهية.

فالصورة الأدبية اليوم وبحكم أن الأدب يتميز بحمايته ومسعاها الإنساني يراهن على الامتناع والإقناع في نفس الوقت ويخاطب انتظارات متعددة وآفاقا روحية غير متعلقة بزمن معين وبغاية معينة، وهذا ما يجعله ينفذ إلى قلوب الأفراد القراء.

يعمل الأديب على توطيد المصالحة التاريخية بين مختلف الأجناس حرصا منه على ترسيخ القيم النبيلة التي تعزز الوثام فيما بينها والاحتكام إلى مردود المواطن في مجتمعه أو غيره بالنظر إلى مؤهلاته وقدراته دون مراعاة عرقية ودينية وفطرته ولونه، وكذا الألفاظ الجارحة والمهيمنة وتدمير

(1) ينظر: محمد الداوي، صورة الانا والآخر في السرد، ص130-131

صورة الآخر والمس بكرامته وإذلاله ، فهذه الأشياء إذ لم تحارب فتصبح مدا للحركات الأصولية التي تدعو إلى العودة لسلف الصالح والانكماش على الذات المحتملة والسعي إلى اجتثاث الآخر حرصاً من أخطاره.⁽¹⁾

(1) محمد الداوي، صورة الانا والآخر في السرد، ص133

الفصل الأول:

الآخر بين المفهوم والنشأة

أولاً - 1 / مفهوم الآخر

أ- لغة

ب- اصطلاحاً

2 / مفهوم الأنا

ثانياً - نشأة الآخر

أ- في العالم العربي .

ب- في العالم الغربي

ثالثاً - علاقة الآخر بالأنا

تمهيد:

إن الطبيعة البشرية في مكوناتها تتركز على ثنائية الآخر والأنا ولا ينفصل الأول عن الثاني في كل حال من الأحوال وهذه العلاقة بين الثنائيتين تقوم على مبدأ الصراع والتصالح.

وسنحاول فيما يلي عرض مفهوم الآخر في المعاجم اللغوية والتعاريف الاصطلاحية وكذا الإشارة إلى مفهوم الأنا.

أولاً-1/ مفهوم الآخر : (autre)

أ- لغة:

ورد في لسان العرب عن الآخر (بالفتح أحد الشئيين وهو أفعال، الأنتى الأخرى ، إلا أن فيه معنى الصفة لأن "أفعل" من كذا لا يكون إلا فيه الصفة ، والآخر بمعنى غير كقولك رجل آخر وثوب آخر وأصله أفعال من التأخير ، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد ستقلنا فأبدلت الثانية ألفا لسكونها وانفتاح الأولى قبلها... وقد جمع إمرؤ القيس بين آخر وقيصر توهم الألف همزة قال:

إذا نحن صرنا خمس عشر ليلةً وراء الحساء من مدافع قيصرًا

إذا قلت هذا صاحب قد رضيتُهُ وقرت به العينان بدلت آخرًا (1)

أما في المعجم العين فقد جاء الآخر : "تقول: هذا آخر وهذه أخرى ، أما آخر فجماعة أخرى" (2)

(1) ابن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب، (مادة (أ، خ ، ر) ، دار صادر بيروت ، المجلد 1 ، ط 1، 1997، ص 47.

(2) مرتضى الزبيدي: تاج العروس ، المجلد 10، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، 1994، ص 433.

أما في تاج العروس فقد ورد الآخر : " هو (بفتح الخاء) أحد الشين وهو اسم على أفعل إلا أن فيه معنى الصفة ، لأن أفعل من كذلك لا يكون إلا في الصفة ، كذا في الصحاح ... " (1)

وتصغير آخر (أويخر) جرت الألف المخففة عن الهمزة مجرى ألف ضارب وقوله تعالى: «فتأخران يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحقّ من شهادتهما وما اعتدينا إنّنا إذا لمن الظالمين» (2)

كما ورد في معجم الوسيط أن الآخر : " أحد الشئيين ، ويكونان من جنس واحد ، قال المتنبي:

ودع كل صوت غير صوتي فإني أنا الصالح المحكي والآخر الصدى

كل التعريفات اللغوية تصب في مفهوم واحد ، ألا وهو أن الآخر هو الغير ، وهذا ما اتفقت عليه المعاجم في تعريف الآخر ، لكننا اكتفينا بما قل ودل .

ب- إصطلاحاً:

ورد عن "إلياس كانيّتي" (1973 canette) " مامن شيء يخيف الإنسان أكثر من المجهول ، فهناك تخوف مما يمكن أن يفعله الآخرين مما إذا كنا سنبتقي بعد تلك المواجهة على المجهول ، ومن ناحية أخرى هناك إحساس عميق بأننا نحتاج إلى الآخرة أيضاً" (3) ويقصد من التعريف الذي سبق فيما يخص الآخر نجد أن هناك حتمية لا مفر منها في وجود الآخر ، فالآخر بطبعه يكمل النقص ويعد عن المجهول الذي قد تقع فيه الأنا في صراعها مع ذاتها.

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، معجم العين ، تحقيق عبد الحميد هندراوي، د/ الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، الجزء الأول، ط1، 1424هـ/2003، ص 20.

(2) سورة المائدة ، الآية 107.

(3) طوني بينيت ، لورانس غروسيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والجمع ، ت.ر ، سعيد الغانمي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2010، ص 41.

وأما عند "جوليا كريستيفا: (KRISTEVA 1991) فقد عرّفت الآخر على " أنه هو الغريب الذي يعيش في داخلنا : فهو الوجه الخفي لهويتنا (تذكروا قول رامبو: "أنا هو آخر" "JE EST UN AUTRE" وهذا التعرف على الآخريّة في الذات على أنفسنا كآخر يأخذ المنظور الاجتماعي حول الغريب إلى نهايته القصوى و المنطقية " (1) نستشف من قول "جوليا كريستيفا" فيما يخص الآخر بمثابة كيان الذات ، إذ لا يمكننا أن نتعرف على ذاتنا إلا من خلال الآخر فهو مرتبط بالفرس لمعرفة الذات ، فالآخر بطبيعة الحال مرآة الأنا والعكس صحيح .

كما نجد هذا المصطلح في الدراسات العربية الحديثة والمعاصر فقد روج له العديد من الباحثين وعلى رأسهم "ماجدة حمود" إذ عرفت "الآخر" " بأنه هو المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العربي " (2)

و قد بنت تعريفها على فكرة الاختلاف البيولوجي والجغرافي والأيدولوجي والابستمولوجي.

أما شاكر عبد الحميد فالآخر عنده " هو أن الآخر قد يكون أحد الأفراد وقد يكون صديقا وقد يكون عدواً ففكر في أنسب الوسائل للتعامل معه " (3)

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول أن فكرة المجهول تشكل معالم الآخر الذي لا يتحدد كنهه إلا لحظة التعامل معه .

(1) طوني بينيت ، لورانس غروسيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ، ص 44.

(2) ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي ، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2010 ، ص95.

(3) عمر وعبد العلي علام، الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، د/ب، ط1، يناير ، 2005، ص 12.

والآخر عند إدوارد سعيد هو المختلف المغاير ، وهو تعريف سلبي يجعل الكلمة لا تكتسب معناها ، إلا بالبحث عن معنى ضدها ، وهي كلمة الذات فهن خلال فهم الإنسان لذاته وتعريفه لها يكون فهمه استخدامه لمدلول كلمة الآخر " (1)

هذا الارتباط الوثيق بين الأنا والآخر وارتباط وجود أحدهما بالآخر فيه من معاني التبعية والانقياد الكثير ، حيث يسلب حرية الآخر وكيونيته وقد يتم الغاء وجوده وفق قواعد هذه التبعية.

2/ مفهوم الأنا:

أ- لغة:

مصطلح الآخر يستحضر في أذهاننا مصطلح الأنا، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أنا الآخر لا يحقق وجوده بدون الذات ، ومن هذا المنطلق وجب علينا عرض مفهوم الأنا.

نجد ابن منظور يعرفها قائلاً : "الأنا لا تثنية له من لفظة إلا ب: نحن في التثنية والجمع....واعلم أنه يوصل بها تاء الخطاب فيصيران كالشيء الواحد، من غير أن تكون مضافة إليه ، يقول : أنت ، وتكسر مؤنث وأنتم وأنتم، قد تدخل عليها كاف التشبيه فتقول: أنت كأنا وأنا كأنت ، حكي ذلك عن العرب " (2)

كما ورد في الصحاح للجوهري بمعنى " اسم مكني وهو للمتكلم وحده إنما يني على الفتح فرقا بينه وبين " أن" التي هي حرف ناصب للفعل والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقت ، فإن وسط سقطت إلا في اللغة رديئة كما قال:

أنا سيف العشرة ، فاعرفوني جميعاً قد تدرت السناما " (3)

(1) صالح بن عويد الحربي ، دراسات صورة الآخر في الأدب العربي وأثر إدوارد سعيد، دراسة مقارنة ، مجلة جامعة طيبة للأدب والعلوم الإنسانية السنة السابعة ، العدد 20 ، 1441هـ ، ص 162.

(2) ابن منظور لسان العرب، ص 126.

(3) مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، المجلد الثامن عشر ، باب النون ، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة ، بيروت، لبنان ، 1414هـ/ 1994، ص 35.

بينما الفيروز أبادي في المحيط يعرفها بأنها " ضمير رفع للمتكلم مذكرا ومؤنثا مثناه وجمعه نحن " (1)

نخلص من خلال التعريف اللغوي لمفردة " الأنا " ومن مختلف المشتقات التابعة لها أنا مرتبطة بضمير المتكلم ، فهي اسم مكني مبني على الفتح يأتي به لبيان الحركة في الوقف ، وهذه اللفظة لا تنية لها إلا بنحن .

ب- اصطلاحا:

لقد تناول العديد من الدارسين مفهوم الأنا ومن بين هؤلاء الباحثين نجد "وليام جيمس" (wiliamdjames) حيث عرفها قائلا " الأنا أو الذات في أكثر معانيها عمومية بـ أنها المجهول الكلي لكل ما يستطيع الإنسان أن يدعى أنه جسده سماته وقدراته ، ممتلكاته المادية أسرته ، أصدقاءه وأعدائه ، مهنته وهوايته والكثير (كذا) غير ذلك " (2) وهنا نجد "جيمس" قد ربط لفظ "الأنا" أو الذات بالأفراد ارتباطا كليا فيزيولوجيا واجتماعيا واقتصاديا .

أما الفيلسوف الشهير "سيجموند فرويد" SIGMUND FREUD فقد اعتبر الأنا جزء من الجهاز النفسي حيث يقول : " يشرف الأنا على الحركة الإدارية ، ويقوم بمهمة الأنا حفظ الذات ، وهو يقبض على زمام الرغبات الغريزية ... ويمثل الأنا الحكمة وسلامة العقل على خلاف الهو " (3) فالأنا هي الحالة شعورية بحتة تنبع من الإدراك الكلي وهي نقيض الهو .

ويرى "جان بول ساتر" بأن الأنا ترتبط بالوجود فيقول "فوجود الآخر شرط لوجودي وشرط لمعرفتي ل نفسي وعلى ذلك اكتشافي لدواخلي اكتشاف للآخر كحرية تعمل إما لجاني أو ضدي" (4)

(1) الفيروز أبادي ، قاموس المحيط ، تر: محمد نعيم العرقسوسي ، الرسالة ناشرون ، ط8 ، 2005 ، ص 342.

(2) سعد محمد يونس الراشدي ، الآخر في شعر المتنبي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2016 ، ص24.

(3) سيجموند فرويد الأنا والهو ، تر: محمد عثمان نجاتي ، دار الشرق ، بيروت ، ط4 ، 1402هـ/ 1982 ، ص16.

(4) جان بول ساتر ، الوجودية مذهب إنساني ، تر: عبد المنعم الحنفي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط1 ، 1924 ، ص72.

ربط جان بول الأنا بالآخر حيث عد هذا الأخير عنصراً أساسياً لمعرفة الأنا واكتشافها.

وفي تعريف آخر "الأنا هي جملة من السمات المتورثة التي تكون ثقافة الفرد في مجتمعه ويسعى جاهداً للتأصيل لها والحفاظ عليها لأن الذات أو الأنا هي مركز شخصيتنا وإنها لا تنمو ولا تفصح عن قدرتها إلا من خلال البيئة الاجتماعية وأن الشعور بالأنا لدينا لا يبرز دون أن يكون مصحوباً بذوات الآخرين"⁽¹⁾ ، فتحدد هوية الأنا من خلال الاختلاف القائم بين باقي الذوات.

(¹) مازية حاج علي ، الهوية وسرد الآخر في رواية غشمان كنفاني ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ، lmd ، الأدب واللغة العربية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2017 ، ص 26.

ثانيا- نشأة الآخر

أ- في العالم الغربي:

من الصعوبة بمكان تحديد بداية حقيقية لنشأة الآخر سواء عند العرب أو عند الغرب ، ومع ذلك نبدأ حديثنا عن الآخر الغربي انطلاقا من أرسطو الذي تأثر بأحد المفاهيم السائدة ألا وهي أن الأمة اليونانية قد حُلقت من مادة نورية خاصة، بينما خلق غيرهم من مواد خسيصة ، لذلك فقد أعتبر بأن غير اليوناني يعاني القصور العقلي أو العضلي على خلاف اليوناني الذي يتمتع بالكمال في الجانبين ، ناهيك عن جغرافية اليونان بموقعها الممتاز الذي يساعد على الإبداع.

كما استخدم أرسطو أهم عنصر من عناصر الهوية اليونانية وهي اللغة ، فأطلق لقب "بربري" على من لا يتكلم اللغة اليونانية ، ويمكن استعباده إن وقع أسيرا ، وهكذا فقد تم احتقار الآخر والحط من نشأته إلى درجة أنه عد كلامه لغوا، وبهذه الكيفية يتم تحديد هوية الآننا **HOBAROL**⁽¹⁾ وربطها بالعنصر اليوناني ، والآخر من هو خارج الدائرة اليونانية ومنذ القرن الخامس عشر تقمص الأوروبيون التراث اليوناني والرماني، وبهذه الكيفية تم التوفيق بين العنصرين الأوروبي والمسيحي واليهودي الذي رسخ فكرة أرض الميعاد التي تقمصها الأوروبيون باعتبارهم أصحاب رسالة حضارية تجاه الآخر، سواء في العالم الجديد أو في آسيا وإفريقيا .

وقد نظر لهذه الأسطورة فيلسوف التاريخ الإيطالي : "فيكوجيوفاني" في كتابه "العلم الجديد" وقد تلقى الغرب الحديث فكرة التفوق العنصري من تراثه التاريخي ومن منبعه الرئيسيين، اليونان والرومان ثم اليهود كما سبقت الإشارة، حيث استند الأولون إلى الطبيعة استند إلى الله، فقد عهدت الطبيعة إلى اليونان والرومان ليكونوا سادة العالم ، كما عهد الله إلى اليهود بأن يقوم هؤلاء وأولئك بالدور القيادي في التاريخ ، واعتبر الحرب بين الفرس واليونان حرب مقدسة ، وأن الحرب بين اليوناني واليوناني منبوذة بينما تصبح هذه الحروب التي كانت تندلع بين الفرس الذي يمثل الآخر، فإنها تفصل عن السلام ومن خلال مسار الآننا الغربي عبر المراحل التاريخية التي مر بها منذ

(1) فيلوهاري آخرون، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، تعريب الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية ، د/ط، ص52، 55.

أن كان أجداده الرومان يأخذون الحروب مع جيرانهم وهم في أغنى قوتهم وخاصة إبان الحروب الصليبية التي دامت أمدا طويلة، فكان هذا الأنا يحس بنوع من الكبرياء والأنفة، ولكن مع انكسار الإمبراطورية وأمام زحف المسلمين وأصبح يحس بالضعف أمامه ويحاول دائما النهوض.⁽¹⁾ ولكن مع ظهور الثورة الصناعية في العصور الحديثة التي ظهر فيها الوعي الأوروبي، وأصبح الآخر الأوروبي يتطلع إلى المرجعية الجديدة (الدولة) تبقى التوسع لمدا آليات الإنتاج والتصنيع في القرن التاسع عشر.

لقد صنعت الثورة الصناعية النخب وأثارت العقول وهدمت قلوبا. والغريب أنه بعد ذرة فلسفة التنوير، وما بلغه الوعي الأوروبي من إعلانه لمبادئ الحرية والإيجاء والمساواة ينهار كله في حربين مدمرتين اجتاحت أغلب دول العالم. وبنجاح النهضة تبلورت الهوية الغربية الحديثة انطلاقا من مبدأ تغني الآخر لإثبات الأنا ومن هنا تستطع أن نرجع البدايات الحقيقية لهذا الفرع من فروع الأدب المقارن إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، عندما قامت "مدام دوستال" الأدبية الفرنسية بزيارة طويلة إلى ألمانيا ، وذلك في وقت تصاعد فيه العداء بين الشعبين الألماني والفرنسي، وأثناء إقامتها فوجئت الأدبية بمدى سوء الفهم والجهل الذي يعاني منه الفرنسيون لألمانيا، رغم الجوار الجغرافي فقد تحقق لها أن الفرنسيين يجهلون أبسط الأمور المتعلقة بالمجتمع والثقافة والأدب والطبيعة في ألمانيا ، فرسموا في أذهانهم صورة شعب فظ غير متحضر يتكلم لغة غير جميلة ليس له انجازات أدبية أو ثقافية تستحق الذكر، إنها باختصار صورة يرسمها شعب لشعب آخر يعده عدوله ولكن مدام دوستال اكتشفت عبر رحلتها أن الشعب الألماني يتمتع بمناقب جمّة.⁽²⁾

ويتميزون بالطيبة والصدق كما فوجئت بجمال الطبيعة لاسيما نهر الراين والغابة السوداء ويعني الأدب الألماني، والمستوى الرفيع الذي بلغته الفلسفة الألمانية.

(1) ينظر: عبد الله بوقرون ، الآخر في جدلية التاريخ عند هيجل ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه للعلوم في الفلسفة ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2007، ص18-19

(2) ينظر: ماجدة جهود، مقارنة تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتخاذ الكتابة، دار العرب، د/ط، 2000، ص 107

وهكذا كانت محصلة الرحلة التي قامت بها مدام دوستال إلى ألمانيا كتابا وضعت له عنوانا بسيطا هو "ألمانيا" سعت فيه إلى تصريح ما في أذهان الفرنسيين من صور مشوهة عن الأمان وبلادهم وثقافتهم ، لهذا بإمكاننا أن نعد هذا الكتاب بداية لم أصبح يعرف بالدراسة الأدبية للآخر (الصورولوجيا) ⁽¹⁾.

فتبلورت الهوية الغربية الحديثة مع المركزية الغربية وتبنت ثقافة التفوق ، انطلاقا من مبدأ نفي الآخر لإثبات الأنا.

ومن هنا نختتم حديثنا فنقول مدام الأنا الغربي ينظر إلى الآخر نظرة ازدراء واضحا وتسلط ومادام الآخر يئن تحت وطئته دون محاولة النهوض يبقى الغرب هو الشرق والشرق هو الشرق والله في خلقه شؤون.

ب- في العالم العربي:

نجد الكثير من الدراسات المقارنة تهتم بدراسة الآخر الغربي وتهمل الآخر العربي، وإن كنا نشهد اليوم تطورا ملحوظا في هذا المجال في عصرنا الحاضر ، وذلك بسبب رغبة بعض الباحثين والمتقنين في سيادة روح التعايش السلمي بين "الأنا والآخر" ، فهم يبحثون عن دور فاعل في الحياة.

وإذا عدنا إلى موضوع عنواننا (نشأة الآخر في العالم العربي) فإننا نقر بوجود مراحل تاريخية حتمية تمر بها جميع الشعوب والمجتمعات دون استثناء وهنا يكمن دور المثقف والسياسي في إحداث طفرة في اقتصاد الزمن فالعلاقة الإنسانية، في الجاهلية تقوم على التعصب ونبذ الآخر في كثير من الأحيان ، وقد تصل إلى حد إثارة الفتن والرعب ، فيتم تجريد الآخر من الإنسانية حين يتعلق الأمر بذاته أو قبيلته محتقرا كل من يخالفه في الرأي أو الجنس أو العرق، الأمر الذي جعله

ينغلق على نفسه مستبعدا أي إحساس بالآخر مما يؤدي إلى قتل نوازع الخير في نفس البشرية فتصبح عبارة عن غاية موحشة يأكل فيها القوي الضعيف ، ومع هذا لا نعم فنجد بعض النوازع

(1) ينظر: ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص 107.

الإنسانية عند بعض فحول الشعراء من أمثال " زهير ابن أبي سلمى " الذي أشاد " بهرام بن سنان " و " الحارث بن عوف " اللذان تحملا ديات القتلى في إطفاء نار حرب دامت حوالي أربعين سنة وكذلك النابغة الذبياني الذي كانت تضرب له قبة في سوق عكاظ ويحكم بين شعراء القبائل وعندما بزغ نور الإسلام الذي جعل من الآخر صورة مجتمع يعيش قيما جديدة، ويرفض قيم البداوة التي ترى في صفة الكرم ضرورة حياته في الصحراء، فبدأ هذا البدوي في التحول إلى آخر حضري ومن فرد يسوق ماشيته إلى آخر يذود عنها ، ويعدها إلى صاحبها وحسبه في ذلك جزاء الرحمان وثواب الآخرة⁽¹⁾

ولكن هذا التحول سار تدريجيا فحب القبيلة والإعتزاز بوصفها صفات من صفات العرب ومازالت إلى اليوم، فهذا التعصب يجر أحيانا إلى التعصب المذهبي، رغم حديث "الرسول صلى الله عليه وسلم" اختلاف أمتي رحمة ، فكتب التاريخ والحضارة والأدب تروى لنا بعض الحوادث وقعت في العهد الإسلامي يندى لها الجبين فيروى لنا ابن قتيبة في كتابه "عيون الأخبار" مشهدا مروعا لتعصب الإنسان ضد أخيه الإنسان فيروى "أن رجلا من قبيلة الأزد أنه كان مع أسد بن عبد الله بخرسان نسير معه وقد مر نهر فجاء بأمر عظيم لا يوصف، وإذا برجل يضربه الموج وهو ينادي الغريق، الغريق ، فوقف أسد وقال: هل من سابع ؟ فقلت نعم ، فقال ويحل الحق الرجل إذ ثبت عن فرسي ، وألقيت عني ثيابي ، ثم رميت بنفسي في الماء فمازلت أسبح حتى إذا كنت قريبا منه قلت: ممن الرجل؟ قال من تميم قلت أمض راشدا، فو الله ما تأخرت عنه ذراعا حتى عرق!!! فقال : ابن عياش : فقلت له ويحك أما اتقيت الله غرقت رجلا مسلما فقال والله لو كان معي لبنة لضربت بها رأسه" ⁽²⁾

فهذا التصرف غير الإنساني وغير الديني يدل دلالة واضحة عن الصراع بين وجهتي النظر القبلية والدينية ويتلقى نقدا من رجل متشعبا بالدين فيخاطبه بلغة دينية ، (أما اتقيت الله قتلت

(1) ينظر: ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص 87.

(2) نفس المرجع ، ص 92.

رجلا مسلما) فهذا الأزدي خالف مبدأ من مبادئ الإسلام الذي أكد على حرمة قتل النفس فقال تعالى: ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا...﴾⁽¹⁾

وان كانت نية الإنقاذ موجودة عند الأزدي والحس لدى الآخر موجود أيضا "هبط من الفرس، وخلع ثيابه ، ثم ألقى بنفسه في النهر لينجد الغريق" ولكن هذه النية كانت مشروطة بقيم التعصب لذلك سأل الغريق قبل أن يمد يده له عن انتهائه القبلي.

وتزيد صورة التعصب القبلي بشاعة حين تصل إلى أقرب الناس حتى يبدو التعصب أقوى من رابطة الدم، فيذكر ابن قتيبة في مشهد آخر رجلا من الأزد كان يطوف بالكعبة وجعل يدعوا لأبيه فقيل له ألا تدعو لأمك؟ فقال إنها تيمة؟ وبذلك يصل التعصب إلى ذروته حين يتنكر الابن لرابطة الدم، فيصل به الأمر حد عقوق أمه التي تنتمي إلى قبيلة تخالف القبيلة التي ينتمي إليها الأب، ومرة أخرى يتقلب التعصب على تعاليم الدين الذي يدعو إلى بر الوالدين وخاصة الأم.⁽²⁾

ومع انتشار الإسلام وتوسع الرقعة الجغرافية ، واختلاط الأنساب وأصبح التعاون بين العربي والفرسي واليهودي وغيرهم بدأت الحواجز النفسية والعرقية والدينية تتغير بين الأنا والآخر وأصبحت نظرتهم تختلف على ما ألفه قبل ، ويقر بروح التعاون التي هي أساس كل تطور وادرك بأن هذا التطور لا يأتي إلا بمعايشة الآخر ومخالطته.

وخاصة إبان القرن الرابع الهجري الذي يعتبر بحق بداية ازدهار الحضارة العربية الإسلامية مما عرفه جميع الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية فاختلاط الأنا العربي بغيره تفتحه على ثقافة وعاداته وتقاليده وأصبح يؤثر ويتأثر بفعل التوجه والتزاوج سواء على المستوى الشعبي أو المستوى الرسمي ، فكان كثير من الخلفاء ، والوزراء يتخذون المؤدبين لأبنائهم من الفرس مثلا: فهذا هو

(1) سورة المائدة ، الآية 31.

(2) ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص 93.

هارون الرشيد يقول للكسائي مؤدبا ابنه : " قد أحللتناك المحل الذي لم تبلغه همتك، فرؤنا من الأشعار أعفها ، ومن الحديث أجمعها لمحاسن الأخلاق ، وذاكرنا بآداب الفرس والهند"⁽¹⁾ .

و إن كنا لاحظنا تردد بعض الحكام المسلمين في استخدام الآخر وخاصة عند بعض الحكام لكن الذي يهمننا على الصعيد العلاقات الاجتماعية وحسن الجوار بين العرب وغيرهم على مدى العصور .

والحديث في هذا المجال بطول ، كما أن حل عصر النهضة وبدأ الآخر يتطلع إنني غيره وينظر إليه بنظرة المساواة في الكثير من الأحيان فأرسلت البعثات التعليمية إلى أوروبا وكثرت الترجمة علما بأن هذه الأخيرة عرفت إزهارا في العصر العباسي وأواخر العصر الأموي فإن الترجمة في العصر الحديث أخذت مجالات أخرى تنوعت بين أدبية وعلمية وفلسفية... الخ وعرف الآخر أنواع كثيرة من الكتابات التي كانت غير معروفة لديه مثل الرواية والقصة والمسرح وإن كنا نعرف بعض النواة عنها في أدبنا العربي القديم فتغيرت نظرة الآخر العربي و تفنن بأن تقدمه وازدهاره لا يتأتى إلا إذا واكب التطور العالمي وخاصة الأوروبي رغم ما عناه الأنا من الآخر الغربي الذي نهب ثرواته وأخذ أراضيه وقتل وشرذ أبناءه والخلاصة ، إن حياة الإنسان تتطلب منه التعايش مع أخيه الإنسان ، فالحياة لا ترقى إلا بالاحتكاك بالآخر فهو في حاجة إلى من يسانده، والأنا العربي لن يشد عنه هذه القاعدة ، وخاصة بعد حلول الإسلام ، فأصبح يهتم بثقافة الآخر فمحاورته انطلاقا من مقالة "الإنسان عدو لما يجهل" فالمؤلفات الأدبية والتاريخية حافلة بما قدمته حضارتنا في مجال نظرتها للآخر ، وقد ظهر جليا عند الجاحظ ،تعتبر ثمرة للنضج العقلي الذي اتسع في العصر العباسي خاصة ، خاصة الجهود العقلية المعتزلة ، سواء من حيث وضوح المنطق أو من حيث قوة الاستدلال وتوليد المعاني فمثلا كتاب البخلاء يصف لنا صورة مجتمع بدأ يعيش قيم جديدة ، ويرفض قيم البداوة التي كانت تفر بإكرام الضيف.

(1) ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص 151

أما في عصرنا الحديث فتحول الآخر العربي رغم ما عناه من اضطهاد وظلم واستعمار من الآخر وخاصة الأوروبي فإنه متسامح في كثير من الأحيان ، وهذا التعاون في نظري لا يتحقق إلا إذا تيقن الأنا العربي بأنه في وقت من الأوقات قد قام عمدا بتشويه صورته.

فأصبح الأنا العربي صورة مشوهة عند الآخر وخاصة الغربي ، فالواقع اليوم يتطلب منا فهم ذواتنا والتصالح معها ثم فهم الآخر ، فنبحث في الذات العربية الإسلامية في تراثنا عن جوانب القوة والضعف؟ والكيفية التي تعاملنا بها مع الآخر.

فنحن اليوم أحوج ما نكون إليه هو الحوار مع الآخر والتفتح على الحياة المتعددة مع الآخر بشرط اختيار الأحسن ونبذ الأسوء أما أن نرضى أن تعيش في ظلمة الجهل رافضين ثقافة التسامح التي على أساسها أزهرت حضارة أجدادنا.

فالتعاون بين الأمم يحقق التكامل الإنساني ، وأزمة وباء كورونا التي اجتاحت العالم اليوم خير دليل على ذلك ونستشف ذلك من قوله للتوحيدي أبو حيان (310 هـ تقريبا) " أعلم أن الناس حكمة وإن مجالستهم تحمل بعض الظلمة فاحملهم على المخالفة وتمويه المصادقة، واقتبس منهم المحاسن وتجاه عن المساوى... " (1)

(1) ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص 178.

ثالثا- العلاقة بين الأنا والآخر:

منذ أن خلق الله البشرية في هذا الكون وهناك صراع، وكل يسعى إلى التفوق وضرورة أن يكون هناك غالب ومغلوب.

ومن طبيعة المتفوق أن يحافظ على تفوقه المادي والفكري وأن ييسط سيطرته على جميع الأطراف التي يتحكم فيها ، ويصبو إلى امتلاكها ، وهذا الأمر يدفعنا إلى القول : بأن الإنسان المتفوق مهما كانت قوته فهو في حاجة إلى ربط العلاقة مع غيره سواء كان قويا أو ضعيفا متقدما أو متخلفا، فلا ذات بدون الآخر ولا آخر بدون ذات ولا شرق بدون غرب ولا غرب بدون شرق فكلاهما في حاجة إلى الآخر فهو مكمل لبعضه البعض وبالحوار معه والتفاهم فالحوار يبعثنا عن الرؤية الضيقة والأحكام المسبقة التي يحملها الآخر في مخيلاته حول الأنا⁽¹⁾.

يطلعنا التاريخ إن الآخر بصفته عدو يشكل على الدوام تحديد للهوية الذاتية ، وتظل هذه العداوة محتملة حتى في حالة السلم بين الطرفين فهذه النظرة من الأنا نحو الآخر باعتباره شرّ وجب الحذر منه وخطر يجب مقاومته ، فمثل هذه الأشياء تقوي روح الكراهية التي يجب أن تزول من الأذهان ، ولا يعني هذا الانسلاخ من التاريخ ونسيانه ، وإنما التاريخ في نظري يبقى تاريخا تستفيد منه الأجيال ونحافظ من خلاله على الذاكرة⁽²⁾.

فاليوم نحن في أمس الحاجة إلى بناء علاقات بين الأنا والآخر تقوم على أساس إنساني تحدث مصالحة تاريخية تسهم في تضييد الجراح التي خلفتها سنوات التنافر الطائفي والعربي والحروب الدامية بين الشعوب والأمم .

لقد عرفت العلاقة بين الإسلام والغرب قديما وحديثا توترات وتصورات مسبقة مازالت تغذي روح الصراع. والتباعد والرجوع إلى الأساطير والرؤى التنبؤية اليائسة فهذه مثال **نوسرتدام Nostrodame** تحت الرقعة الجغرافية والتاريخية للإسلام بالخطر المحقق بماهية وجود الغرب⁽³⁾ وهذا

(1) ينظر: محمد شوقي الزين، الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل السياسية و الواقع، دار الأمان الرباط، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ/2012م، ص 10.

(2) صلاح صالح ، سرد الآخر ، الأنا والآخر عبر اللغة السردية ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2003، ص 11.

(3) محمد شوقي الزين ، كتاب الذات والآخر ، ص 63.

الهوس المتناهي يغذي العداء للأجنبي وللآخر غير الأوروبي والمسيحي ، كما تنعت الأنا المسلم بالإرهابي .

فالحقيقة إذا، عدنا إلى الصراع الذي دار بين المسلمين والروم مثلا والذي دام أمدا بعيدا ذلك روح العداء بين الأنا المسلم والآخر الغربي ، وأصبحت العلاقة بين الشرق والغرب علاقة عدائية قديمة وبقيت تتردد إلى الآن .

وخاصة بين الغربي الصليبي الحاقد على الإسلام، والمسلمين فهذه الحروب أنشأت صورة للآخر سلبية مثل : " الكفر والخروج ، والإثم ... الخ" فهذا هو الشاعر العربي المتبني شاعر سيف الدولة الحمداني يصف الروم بأنه عدوه في سياق حروب سيف الدولة معهم .

ليس الدجى فيها إلى أرض مرعش * وللروم خطب في البلاد جليل**

فالمتبني يذكر هنا جيش الروم ووصوله إلى أطراف أرض ترعش وهي بلاد عربية وغزوه بلاد المسلمين ، وانتشار الخبر حتى وصل سيف الدولة ، ثم يقول في بيت ثاني:

حتى أقام على أرض خرشية * تشقى بها الروم والصلبان والبيع (1)**

فجعل ممدوحه رمز العرب والمسلمين ووصوله إلى أطراف خرشته وهي بلاد دروهية ، وهم أعداء العقيدة أولا والقومية ثانيا، وتوسعت الحروب الرومية ضد المسلمين إلى حد تعبئة كل أوروبا. والحديث في هذا المجال يطول، وإن جدل الأنا والآخر هو الصراع بين الجديد والقديم على مستوى الحضارات وفي مسار التاريخ يحدث عند كل شعب ، فإن كان الغرب هو الأنا فإن الشرق بالنسبة إليه هو الآخر ، والعكس بالعكس وإذا كان العالم الثالث هو الأنا كان الشرق والغرب على السواء هما الآخر بالنسبة له. (2)

(1) سعد محمد يونس الراشدي ، الآخر في شعر المتبني ، ص 195 .

(2) ينظر: حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب ، التراث والتجديد موقفنا من التراث الغربي، دار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1، 1411هـ/1991م، ص 123 .

ونظرا للتفاعل التاريخي المتبادل بين مساري الأنا والآخر وكذلك القرب الجغرافي على شاطئ حوض البحر الأبيض المتوسط الجنوبي والشمالي؛ حيث يقطن الأنا والآخر ففي الوقت الذي كان فيه الأنا في الذروة في القرنين الرابع والخامس الهجريين كان الآخر في القاعدة.

ومع التقدم العلمي والتكنولوجي وبعد حربين مدمرتين قامت على إديولوجيات عنصرية وفاشية تصف البشر طبقا لأجناسهم الأبيض ، الأسود الآري السامي ، الغربي ، الشرقي المتقدم المتأخر، النظيف القدر العالم والجاهل والسيد والعبد الحي والميت ، وأصبحت العلاقة بين الأنا والآخر الغربي ، وحتى بين الأنا نفسه حين اعتبر هتلر تفوق الجنس الآري على جميع الأجناس .

ولم يعد هناك معيار شامل يوحد بين البشر جميعا استحلال الحوار بين الأنا والآخر الغربي ، وخاصة بعد حروب التحرير ، فيحاول دائما القوي المتفوق السيطرة على الأنا الضعيف بأخذ مواده الأولية ومصادر الطاقة وامتلاك السلاح الفتاك.

ويحرم منه الآخر والمثال ذلك دولة إيران حاليا وأمام وفرة الإنتاج والسيطرة على البحار والأنهار أصبح هو الأقوى والويل لمن يخرج عن عصا الطاعة ، ولكن بطرق تختلف على ما كان عليه في السابق.

ويبدو أن هذه الظواهر كلها تعبر عن الأزمة إفلاس للمشروع الغربي القائم على أكبر قدر ممكن من الإنتاج لقد مكن من الاستهلاك للحصول على أكبر قسط ممكن من السعادة.⁽¹⁾

إن الدول المتقدمة وخاصة الغربية منها والتي كانت تعتمد على المواد الأولية الخام الآتية من مستعمراتها السابقة نالت أغلب هذه البلدان استقلالها وسيطرتها على معظم مواردها الطبيعية ، وبدأت تتحكم في أسعارها وتراكت رؤوس الأموال في الدول الاستعمارية ، من مصر والهند إلى بريطانيا ومن أندونيسيا إلى هولندا ومن الجزائر إلى فرنسا ومن أمريكا اللاتينية إلى إسبانيا والبرتغال وارتفعت أجور العمال وزادت أسعار التكلفة وقل الاستهلاك وقد دفع الشركات متعددة الجنسيات إلى البحث عن مراكز صناعية خارج أوروبا .

(1) ينظر: حسن حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، ص 720.

وأمام هذا الوضع زاد العداوة بين الأنا والآخر وأصبحت العلاقة بينهما تقوم على المصالح الضيقة والنفاق السياسي إن صح التعبير .

فالفائض الزراعي والصناعي مازال يفجر الأسواق العالمية فما هو زعيم الكونفدراليات الفلاحية الفرنسية. **جوزي بوفي " Jose Boof "** يتظاهر ضد مطاعم الماكدونا لدى فرنسا بعد أن فرضت الولايات المتحدة الأمريكية تسعيرة على الواردات الفرنسية غدرات فرض فرنسا الاستيراد اللحوم المهرمونية الأمريكية.⁽¹⁾

وأصبح الآخر يتباعد بقدر ما يتقارب ويتنصل بقدر ما يتواصل وخاصة مع ظهور المواقع الالكترونية، فالمقاربة اليوم تتطلب منا العمل جنبا إلى جنب مع الآخر ونبتد كل الخلافات وإبعاد الازدواجية التي تفصل بين عالمين إحداهما أدنى ومتخلف والآخر أعلى ومتحضر فطرح هذه الخلافات جانبا سواء كانت سياسية أو دينية أو علمانية أو أدبية ، فالنقد الذاتي لأفكارنا تجعلنا ننظر للآخر نظرة تفتح وتعاون متميز بيننا وبين الأنا ، ونبتعد عم العالم المتوحش والمتخلف ونجعل التعاون يهدف إلى الوحدة لا للتفرقة .

إن المتتبع اليوم للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم ، وخاصة عند بعض الشعوب التي تبنت أحزابا سياسية يمينية متطرفة التي تعتبر الآخر هو مصدر كل المصائب التي لحقت بها ، وخاصة الغربية منها فالبطالة وانعدام الأمن والأمراض مصدرها هذا الآخر الوافد إليهم ، رغم ما حققه لهم من بناء وتشبيد وازدهار وتقدم لبلدانهم.⁽²⁾

فاليمين تجدر وتغلغل حتى في الأوساط اليسارية المعتدلة بعض الإحصائيات في فرنسا أشارت إلى أن شريحة العمال المتضررين من غلق المصانع والإحالة على البطالة ، كانت وراء صعود اليمين المتطرف ، وكذلك الانتشار المخيف للأعمال الاجرامية والمساس بأمن المواطنين وأرزاقهم كان وراء هذه الانتصارات المتوالية والزحف المتواصل .

وأمام هذا الوضع يجدر بنا أن نطرح على أنفسنا الأسئلة التالية :

(1) محمد شوقي الزين، الذات والآخر، المرجع السابق، ص 169.

(2) المرجع نفسه ، ص 169.

أ- لماذا يزداد العالم المعاصر توحشا وبربرية؟

ب- ما هي الأسباب التي جعلت بعض دول العالم تحقق قفزة نوعية في الصناعة والإعلام والثقافة والآداب ، والتكنولوجيا؟

ج- ماذا حققنا نحن ؟ رغم ما نملكه من طاقات وإمكانيات؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة مجتمعة قد تطول وتتطلب منا الغوص في الماضي البعيد والقريب معا .

فالصراع بين الأنا والآخر قديم قدم التاريخ ، فمسار الآخر يمتد على مسار مراحل ثلاثة ، عصر الآباء (العصر القديم) والعصر الوسيط والعصر المدرسي (العصر الحديث) بينما الأنا أكمل مرحلتين اثنتين الفترة الذهبية الأولى عصر الخلق والإبداع في القرون السبعة الأولى، ثم عصر الشروح و الملخصات في القرون السبعة التالية ، التي بدأت نهايتها مع بداية الفترة الثالثة مع بداية القرن الخامس عشر .

وإذا بحثنا في رصيد التجارب البشرية عند الآخر نجدها أكثر ما عند الأنا أما إذا أضفنا لمسار الأنا حضارات الشرق القديم منذ سبعة آلاف عام أي أطول من مسار الآخر ثلاثة مرات أو أكثر .

والنتيجة أن مسار الأنا والآخر في خطين متداخلين كل خط يؤثر ويتأثر ⁽¹⁾ فيتطلب من الأنا والآخر اليوم أكثر من أي وقت مضى للتعاون والتوافق على أسس إنسانية بحتة " فكلنا من آدم وآدم من تراب " وما أصاب العالم اليوم من وباء فتاك " كورونا 19 " وما تشهده البشرية حاليا خير مثال على ما قلت والله في خلقه شؤون.

(1) ينظر: حسين حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، ص 122 ، 123.

الفصل الثاني:

تجليات الآخر في رواية "سيرابا" لـ "محمد سعدون"

أولاً - جدلية الآخر والأنا في رواية سيرابا

1- صورة الآخر المؤثر:

أ- المعمار الفرنسي

ب- اللغة الفرنسية

ج- العادات الفرنسية

2- صورة الآخر المتأثر (الآخر بالنسبة للأنا الفرنسية):

أ- الذات المتحررة (سيرابا)

ب- الذات المتقلبة (عمر لاي)

ج- الذات الثابتة (تيام)

د- الذات المتدنية (الشيخ)

3- الآخر الدخيل / المغترب:

أ- الدخيل المثقف

ب- الدخيل خطيئة (الخيانة)

ج- الدخيل المتردد

أولاً: جدلية الآخر في رواية "سيرابا" لـ: محمد سعدون"

يعد الحديث عن موضوع "الآخر" في الأدب عامة والأدب العربي خاصة، حديثاً شيقاً ذو شجون يطول شرحه إذا تم الغوص فيه والبحث في أغواره. وسنحاول في هذا الفصل رصد مختلف أبعاد جدلية الأنا والآخر من خلال إضاءة صورة الآخر المؤثر، والمتأثر والدخيل وكذا تحليل الذوات الفاعلة ضمن الرواية.

1- صورة الآخر المؤثر:

المؤثر الوحيد الذي سبق الحديث عنه في هذا الصدد هو "الفرنسي" بشكل عام بكل ما يحمله من مقومات وتفصيل ترمز للآخر الفرنسي لكننا حصرنا "الآخر" خاصتنا في رواية "سيرابا" في ثلاث نقاط رئيسية وسنوضحها فيما يأتي .

أ- المعمار الفرنسي:

افتتح الروائي روايته بوصف دقيق لعدة أماكن من العاصمة السنغالية داکار، يشمل هذا الوصف بعض المعالم الأثرية التي شيدت بفعل المستبد الفرنسي على الأراضي السنغالية ، وإن الحديث الأخير حول تواجد المعمار الفرنسي يرمي بنا إلى حقيقة وجود علاقة تآلف و إعتياد من قبل الشعب السنغالي مع هذه الآثار المعمارية ، لهذا لم يأت ذكرها على لسان شخص الوافد الجزائري، باعتباره غريباً عن المكان.

وقد صور "الجزائري" هذه المعالم والبنائيات في صورة شبه خرافية بسبب الأثر الغريب الذي تركته فيه وهو يراها لأول مرة ، وهذا ما يوضحه المقطع السردى الأتي "وصلت ذات صباح إفريقي باكر إلى السنغال وبعدما أخذت قسطاً من الراحة في فندق السلام ، في شارع الحرية بـداكار خرجت للتجول في هذه المدينة التي بدت لي رائعة بما تنطوي عليه من مآثر إفريقية تثير الدهشة والاهتمام وقد تملكني حبور طافح وأنا أتقل في شوارعها الرحبة⁽¹⁾ "

(1) محمد سعدون ، رواية سيرابا، دار خيال، برج بوعرييج، الجزائر ، ط1، 2019، ص5.

مسيحي بلون أسود يعكس روح الزنجي ، لربما كان الهدف منها ترسيخ المسحة في السنغال الذي حسد في قول: " استوقفني تمثال المسيح ومريم العذراء على مدخل الكناس في صورة زنجين أسودين وهت طويلا في فلسفة السواد المتألق منها"⁽¹⁾

وأسترسل الحديث عن المعمار في الرواية من خلال ذكر المباني الضخمة والفريدة من نوعها وقد بدت مختلفة تماما عن البناء المعماري السنغالي ، فالطابع المعماري الفرنسي المسيحي ظاهر للعيان في أرجاء المدينة.

"وجدت نفسي شاخصا من حيث لا أدري أمام بناية ضخمة تحدد بها أشجار السرو والصفصاف والموز، ويحيط بيها سياج من حديد كتب في أعلى بوابتها بحروف لاتينية لقاء مريم ، ودعاني الفضول للإطلاع على ما يوجد داخل هذا البنا العظيم... وأخبر في الحراسة الزنجي بأنها مدرسة خيرية يتعلم فيها الأطفال الديانة المسيحية بالجمان"⁽²⁾

المستعمر الفرنسي من لمساته في هذه الأراضي و الذي كان بالنسبة "للأنا" سواء "الجزائري أو السنغالي الذي يمثل "الآخر" كونه مثلا "عنصرا أساسيا لأنه كان المستعمر المشترك لكلا البلدين ، ومن خلال هذا كله حرص على ذكر أو بالأحرى تسليط الضوء على العمران، والتي أشار إليها في الصفحات الأولى من النص الروائي، حيث افتتح كلامه بذكر الفندق الذي نزل فيه بدار.

كما أنه لم يستوقف عند الحديث عن الفندق فحسب ، بل تجاوز ذلك متحدثا عن مخلفات استعمارية من تماثيل مشيدة لها طابع فرني مسيحي بلون أسود يعكس روح الزنجي لربما كان الهدف منها ترسيخ المسيحية في السنغال ونذكر ذلك من قول الراوي « استوقفني تمثال المسيح ومريم العذراء على مدخل الكنائس في صورة زنجين أسودين ، وهت طويلا في فلسفة السواد المتألق منها » .⁽³⁾

يتضح لنا من خلال توظيف المعمار الفرنسي في رواية سيرابا مدى التأثير المادي الذي تركه "الآخر" في محيط "الأنا" ، هذا التأثير بدى جليا وبشكل صريح في أولى صفحات الرواية على

(1) الرواية، ص 5، 6

(2) المصدر نفسه، ص 6

(3) المصدر نفسه، ص 5، 6.

الفصل الثاني : تجليات الآخر في رواية "سيرابا" لـ "محمد سعدون"

لسان "الوافد الجزائري" كما أن وجود هذه الشواهد المعمارية دليل على أن الإستعمار الفرنسي، قد قضى زمنا في بلاد السنغال زمنا يبدو كافيا يشيد له بنيانا على أرض كانت تعيش في يوما على مبدأ قبلي ، يفتقر إلى أبسط مقومات التحضر من هذا يمكن القول أن المعمار الفرنسي قد أسهم في إعمار هذه البلاد أو على الأقل، دفعها نحو التطور والتمدن.

ب- اللغة الفرنسية:

تعد السنغال من البلدان الإفريقية الناطقة باللغة الفرنسية والتي اعتمدها لغة رسمية لها، وهذا نتيجة حتمية لما تلعبه اللغة من أثر وتأثر في الآخر ، فالتركيز على هذا الجانب يعتبر من الأولويات للمستعمر ، فبالرغم من انتشار اللغة الأولوفية بين أغلب سكان البلاد إلا أنها همشت واستبدلت باللغة الفرنسية ، فقد أولاها السارد أهمية في داخل الرواية ، وهذا ما يوضحه المقطع السردى الآتي ذكره : " كانت تلك الفتاة البرزة اللسنة والمتعددة بنفسها تتحدث مع عمر لاي وهو يروي لها قصته ، وأثناء ذلك كانت تحدثني بعيون مهتمة لا تخلو من تأثر الأثنى ورقتها ، ثم وجهت إلي الكلام باللغة الفرنسية مطمئنة إياي قائلة بلهجة حازمة ، لا تفكر سأجد لك حلا ... تعالى معي " (1)

كما يتجسد لدينا في أرجاء رواية "سيرابا" في توظيف "محمد سعدون" للغة الآخر ، هاته اللغة - الفرنسية- التي فرضت هيمنتها على لغة أنا ، بالتالي شكلت لنا جدلية كل من المركز والهامش، وهذا ما يوضحه المقطع السردى الآتي :«ثم نابه عثمان في تلقين التلاميذ ونادونه (أوسمان) بضم الهمزة وتضخيم ألف المد وهو تلميذ شاب في حوالي التلاميذ الذين يحسنون اللغة الفرنسية.» (2)

في حين يظهر الآخر اللامنتمي للأنا والذي شكل مركز به فندت وجود الأنا ، وهو ما تلاقيه في رواية "سيرابا" وذلك في قوله: «تجرات واحدة منهن وسألتنى عن اسمي وعن بلدي

(1) الرواية، ص 16.

(2) المصدر نفسه، ص 26.

والغريب أن جميعهن إلا القليلات منهن يحسن الخطاب باللغة الفرنسية ، وقد ألفن وجودي في الحي واندجت معي تماما بمرور الأيام » (1)

كذلك تحصر صورة الآخر من خلال لغته - اللغة الفرنسية- في هذه الرواية في قوله: "وأحيانا كانت تخاطبني باللغة الفرنسية لتعود للحديث بالأولوفية مع تيام وهو على الرغم من اختفائه بها" (2)

وعليه نستشف من الأمثلة التي وردت في المقاطع السردية للرواية أن المرام الذي كان يرمي من ورائه الروائي من توظيف لغة الآخر ، اللغة الفرنسية ، هو توضيح مدى هيمنة وتملك هذه اللغة عله فكر الشعب السنغاليين ، إذا اتخذت لغة الآخر وسيلة غير شرعية فرضت هيمنتها على لغة الأنا.

ج- العادات الفرنسية:

ج-1- مفهوم الثقافة:

الثقافة عند ريموند وليامز **Williams** " هي طريقة معينة في الحياة ، سواء عند شعب أو فترة أو جماعة". (3)

الثقافة هي "المركب الذي يضم المعرفة والاعتقاد والفن والاختلاف والقانون ... وكل الملكات الأخرى والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع". (4)

في مفهوم آخر لمالك بن نبي الثقافة هي : "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ، وتصبح لاشعور بالعلاقة التي ترتبط بسلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه". (5)

(1) الرواية، ص36.

(2) المصدر نفسه، ص 129 .

(3) طوني بينيت ، لورانس غروسبرغ، ميغان موريس، مفاتيح إصطلاحية جديدة تر: سعيد الغانمي ، ص112

(4) جميلة بنت عبادة الشمري، مفهوم الثقافة في الفكر العربي والفكر الغربي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الثقافة الإسلامية ،

كلية الشريعة ، قسم الثقافة ، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية ، د/ ت ، ص 8

(5) جهامي جبار ، موسوعة المصطلحات، الفكر النقدي العربي والإسلامي الحديث والمعاصر ، مكتبة ناشرون ، لبنان، مجلد2004، 1، ص680

لقد أسهمت الثقافة بدرجة كبيرة في خلق هوة التراجيدية التي تشكلت بين الأنا والآخر هذه الثنائية المتصارعة شكلت جدلا لا بد من التآني إليه ، كون الثقافة مخزون للمجتمع وتعبير عن مدى التواصل والانقطاع والتنوع والوحدة ، ومن خلال هذا المنطلق نستطيع تحديد أثر العادات الفرنسية ، وما تركه الاستعمار الفرنسي في نمط الحياة السنغالية من أكل وملبس وديكور وتعايش مع المسيح.

وإذا عدنا إلى نص الرواية نجد حضور ثقافة الآخر والتي تتجلى في العادات الفرنسية والتي تدخل في الجانب الديني وهذا ما سنورده في الآتي ذكره : "استوقفني تمثال المسيح ومريم العذراء على مدخل الكنائس في صورة زنجيين ... إلى بيت لحم احتفاء بالمسيح عليه السلام ليلة الميلاد"⁽¹⁾. ومن خلال هذا المقطع السردي تنكشف لنا الصورة وتتضح في توظيف الروائي هذا لبس اعتباطيا بل أراد به إيصال فكرة تجسد ثقافة الآخر وعاداته ومعتقداته في تشييد التماثيل التي هي بمثابة آلهة مقدسة تحمل قيم الدين المسيحي ولتعلم أبناء الشعب السنغالي معالم الديانة المسيحية حتى يسهل عليها استعبادهم وإبعادهم عن الدين الإسلامي الذي وصل إلى السنغال عبر التجارة والهجرة.

وقد حشدت الرواية بمظاهر توظيف الثقافة والمعتقد ومختلف الطقوس المسيحية، التي سمحت للأنا السنغالية للتكيف معها فتجلت هاته الطقوس في الآتي ذكرها :

■ التعايش مع المسيحية والمتمثل في المستعمر الفرنسي في النص الروائي والآخر بالنسبة للذات السنغالية التي صارت تكافح على المستويين ، المستوى الداخلي الذي هو رفض الواقع وإرادته في تغييره، والمستوى الخارجي المتمثل في التعايش مع الآخر محل لا بديل عنه ، لما قدمه الآخر في سبيل نمو والتطور الجغرافي والمعيشي "للأنا المقهورة" بسبب التخلف والاستعمار والمتمثل في قول الروائي " وجدت نفسي شاخصا من حيث لا أدري أمام بناية ضخمة تحديق بها أشجار ... فاقتحمت المكان وأخبرني حارسه الزنجي بأنها مدرسة خيرية تعلم فيها الأطفال الديانة

(1) الرواية ، ص 5 ، 6.

المسيحية بالمجان" ومن خلال هذا جسد لا التعايش الأنا مع الدين المسيحي وابتغاء تعليمه للأطفال.

2- صورة الآخر المتأثر (الآخر بالنسبة للأنا الفرنسية):

تزخر الرواية بالعديد من الصور التي تحمل في طياتها الآخر المتأثر والذي يعتبر "الأنا" مركزا أساسيا في حياته، وما تركته من تأثيرات عميقة في ثناياه، وهذا سنوضحه فيما يأتي:

أ- الذات المتحررة (سيرابا):

من الواضح أن مفهوم التحرر يختلف من شخص لآخر ، فكل له مفهومه الخاص به يتشكل عنده وفق مبادئ وضعها لنفسه أو أفكار تبناها ورأى فيها حرته الفكرية والمعنوية وتحررا لذاته .

وهذا ما استشفيناه من رواية "سيرابا" ، حيث نجد "سيرابا" الفتاة الزنجية رمزا واضحا يمثل الذات المتحررة التي لا تعترف بالقيود.

لكن قبل التعرف على سيرابا المتحررة وتظاهرات التحرر في الذات "سيرابا"، وجب التطرق إلى حيثيات المتعلقة بشخصية "سيرابا" .

"سيرابا" هي كلمة أعجمية غير مشتقة تدل على التحرر (معنى اسم سيرابا) .

كما أن "سيرابا" الفتاة الزنجية تتمتع بصفات جسدية ومعنوية ، تبدو للبعض من المهووسين بجمالها وشخصيتها ، فهي فتاة "نفيضة أنوثة ممتلئة الجسم تبدو كاللبؤة ذات جمال متوحش وهي مغرية إلى حد لا يوصف ... أيقونة إفريقية رائعة ذات صوت أبح ضحكاتها تند عن أزيز ينم عن الأنوثة شرسة" (1)

ثم معنويا" فكرت طويلا في سيرابا ... إنها فتاة قوية الشخصية جذابة مثقفة ورائقة الحديث" (2)

(1) الرواية، ص 19، 20.

(2) الرواية، ص 19.

يظهر التحرر في حياة سيرابا بشكل واضح تماما في كل مرة تظهر في الرواية ، بدءا بطريقة عيشها ولباسها وانتهاء بأفكارها وكلامها فنجدها في إحدى المحطات السردية في الرواية إذ يصفها الروائي بوصفها وصفا فيزيولوجيا فيقول في المقطع السردى الموضح "كانت الفتاة المتنمرة تتحدث مع عمر لاي في بالأولوفية ، تتقدمنا أحيانا وتضع أقدامها الحافية بحذر على الأرض ، ترتدي حية صفراء ، لا تتجاوز نصف ساقها الممتلئين عليها بقع بنية تتثنى وتتمازج مع حركة جسمها المكتنز وكان لمشيئها الرائعة تناغم مثير....ونادها باسمها سيرابا عند التحية، كان لوقع هذا الاسم صدى غريب يتغلغل كنبرة الوحي في دمي"⁽¹⁾

ونجد أيضا في مواضع مختلفة من الرواية ، أن الروائي قد أصرف في وصف هذه الذات المتحررة "سيرابا" بفكرها ولباسها وطريقة عيشها ، فإن دل عن شيء فإنما يدل على مدى تأثير "سيرابا" بالفكر وبالثقافة الغربية والتي تجلت في الآخر - الفرنسي - وهذا ماثلا في قوله : "وأقبلت علينا سيرابا بعد لحظات متبرجة بفستان بنفسجي تتلأ لأقراصه الصغيرة الذهبية.... وقد وضعت بعض المساحيق على وجهها"⁽²⁾

لا يتوقف تحرر الذات - سيرابا- في لباسها وطريقة عيشها بل تعدى ذلك إلى أبعد الحدود إذ مس التحرر قيمها الأخلاقية وكسرت بذلك طابوهات الدين ، فلم تكثر هذه الذات - سيرابا- بتحفظ قريتها -دكار- بل سيطر على فكرها - الآخر- فتشبع برؤاه وأفكاره فقلدته ، وهذا ما ستعرضه في المقطع السردى الآتي ذكره : " أما سيرابا فإنها لا تكاد تتقطع عن زيارة أمها وزيارة أهل الحي وهي تشعر بالفرح حين أزور عمر لاي في البيت ... ووجدت الفرصة في التردد إليها بل أنتهز اللحظات عندما لا أجده هناك فأضمها وأقبلها دون أن أمكث طويلا ، وقد صارت كقرورة خمر معتق أدمن عليها وأستطيع السلو عليها "⁽³⁾

(1) المصدر نفسه، ص 16، 17

(2) المصدر نفسه، ص 128.

(3) الرواية ، ص 44.

وكذلك ما نجده ماثلا في قوله: "كانت سيرابا ترتدي شملة بيضاء تشق عن أثنائها... أحسست أن سيرابا تتقدمني تفتح عن صدرها وتميل علي بالقبلات.... وهي نائرة كاللبؤة⁽¹⁾"
وعليه يمكننا أن نستخلص من تظاهرات الذات المتحررة في شخصية سيرابا ، هذه الذات رغم ممارستها للفاحشة (الزنا) ، إلا أنها لم تكثر لها ، وبالتالي هي شخصية سلبية متشعبة بثقافة الآخر الفرنسي .قطعتي هذا التأثير - بالغير - على شخصيتها.

ب- الذات المتقلبة (عمر لاي):

تعد الذات المتقلبة باعتبارها شخصية متناقضة تحوي على الكثير من الصفات التي جمعت كلها في شخصية واحدة ، فنجد هذه الذات المتقلبة مزاجية إلى أبعد الحدود في تصرفاتها وتعاملها.

إن المتفحص لرواية -سيرابا- يلحظ بشكل جلي واضح الذات المتقلبة في الرواية -سيرابا- تكمن في شخصية عمر لاي فهي شخصية لا تستقر على رأي ولا تؤمن بالمبادئ والتقاليد تتقاذفها الأهواء من كل جانب ، بعد أن كانت شخصية متدنية ومتصوفة تحب الأعمال الخيرية ، فعندما صادف الآخر الجزائري الحائر أمام قنصلية بلاده ، فيعرض عليه المساعدة ويبحث له عن مأوى في زاوية شيخه الطرقي.

يظهر هذا في المقطع السردى الآتي ذكره: "وفي هذه الأثناء وأمواج الحيرة تتقاذفني شوق الأقدار شابا يدخل القنصلية ، أسمر اللون طويل القامة ، يرتدي لباسا أشبه بالزي المغربي وتحدث مع الحاجب.... ثم سألتني عن حاجتي فأخبرته بالأزمة التي ألمت بي حين توهمت فيه خيرا.... وكان اسم هذا الفتى عمر لاي"⁽²⁾ وتحوّلت هذه الذات بين عشية وضحاها إلى ذات أخرى تعاقب الخمر وتركض وراء المغريات الحياة لا تشبه حياة الزهد والقناعة التي تربى عليها في الزاوية الصوفية،

(1) المصدر نفسه ، ص 48.

(2) المصدر نفسه ، ص 13، 14.

وذلك في قوله : « بينما نحن عائدين في تلك الليلة إلى البيت صارحني تيام بما يمكنه لعمر لاي من كره ومقت قائلًا لي : حذار من عمر لاي إنه إنسان سيء وأنا لا أحب لقاءه" (1)

ثم تزوج من فتاة سنغالية متحررة - سيرابا- فهي بمثابة العامل الأساسي الذي جعل شخصية عمر لاي متقلبة ومتناقضة في تصرفاتها كلها تحيل إلى الشكوك التي تراوده عن سيرابا وخيانتها له ، هذا الشيء الذي جعل - عمر لاي- باعتباره ذات تعيش في تناقض وصراع داخلي ، يصب جله في بوتقة الخيانة من طرف زوجته وهذا ما يجعلنا نعتقد بإمكانه أن يكون هذا الأمر دافعا لسفره إلى إيطاليا ، وهذا ما يبينه المقطع السردى الآتي ذكره : "سافر عمر لاي إلى إيطاليا من أجل العمل تاركًا سيرابا عند أمها واعدًا إياها أنه سيعمل من أجل تكوين ثروة هناك ثم يعود" (2)

رغم أن شخصية - عمر لاي- كسرت طوق الثقافة العربية الإسلامية وتشبثت بقيود الثقافة الغربية - إيطاليا- وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المتطور الذي يؤسس إلى فكر سلبى وقد تجلّى ذلك في قول الروائي : "قابلي عمر لاي بزى أوروبى أنيق وقد امتلأ بدنه الذي كان نحيفا وبدت عليه إشراقة حقيقية خيل إلى أنها مفتعلة ... وكأن مشكلة تتلبس المكان" (3)

وكذلك تدعم موقفنا بمقطع سردى آخر يدل على مدى تقلب الذات - عمر لاي- وهذا ماثلا في قول الوافد الجزائري: "وبعد لحظات خرج ببذلة أوروبية جديدة وتذكرت هيئته قبل سفره إلى أوروبا حين كان يرتدي الجبة ويلف السبحة على يده ويشاك بعود الآراك تغير عمر لاي تماما وأصبحت هيئته تدل على انفصاله عن التصوف وكأنه لم يبدو ذلك الرجل الصوفي المنى المتواضع" (4)

كل معاشته هذه الذات من تناقضات وصراعات راجعة لعاملين أساسيين تمثل الأول في رفض -عمر لاي- لفكرة تعيش هي البؤرة التي جعلته يعيش في داومة الظنون والشكوك وهي

(1) الرواية ، ص 35، 36

(2) المصدر نفسه ، ص 52.

(3) المصدر نفسه ، ص 56.

(4) المصدر نفسه ، ص 76.

فكرة رفضه الزواج من سيرابا واعتبارها خطأ كبير وانجابهما لولد هو الفادحة الكبيرة لم تجعله يتقبلها، أما العامل الثاني تجلى في تأثيره بفكر الآخر - الفرنسي - مما جعله يدخل في علاقة جديدة مع الفتاة المسيحية - أنا- وهذا يعتبر بدوره دليلاً قاطعاً عن مدى تقلب هذه الذات وتناقضها إبان الصراعات الداخلية التي حالت كلها إلى التأثير بالآخر - الفرنسي-.

ونستهل حديثنا على كل ما سلف قوله وتدعيماً لذلك في ما ورد في مقطع اوري دار بين الوافد الجزائري وعمر لاي في قول الروائي: "تعرفت على فتاة من أصل فرنسي تقيم في إيطاليا وهي فتاة مسيحية يقال لها " أنا " ... واقتрحت علي الزواج.

فقلت : ولكن أنت متزوج ولك ولد؟

قال أصارحك بأني ندمت على هذا الزواج من سيرابا وأما الولد فإني أراه غريباً عني وليس من صليبي... (1)

وعليه بعد تطرقنا وإسرافنا في الحديث عن الذات المتقلبة وما يتغلغل في داخلها ، نخلص إلى أن الغاية التي كان يرمي إليها الراوي : هي تجسيد وإثبات جدلية المقدس والمدنس، والذي لبس ثوب هذه الجدلية الذات المتقلبة ، عمر لاي هذه الذات التي ارتمت في أحضان فكر الآخر . وجعلها تنصاع وتخضع لأوامره وتشيع برواه وتنهل من مشاربه.

ج- الذات الثابتة (تيام):

ويقصد بها حالة لزوم الشخصية لوقع واحد طيلة المسار الروائي من بين شخوص المسرود يجسد هذا الثبات شخص -تيام-.

- تمثل شخصية تيام الثابتة المحبة لعملها ، القانعة بما كتبه الله لها ، فهو معلم قرآن وإمام يؤم الناس في غياب شيخ الزاوية ويتقاضى راتباً زهيداً.

من أمثلة هذا مجاء على لسانه في النص : "قال أنا إمام أتوبه في الصلاة بالجماعة في الزاوية فضلاً عن كوني معلماً للقرآن الكريم أعلم الصبية في واکام.... عنده شهرياً خمسا وعشرين ألف فرنك فرنسي قدم." (1)

(1) الرواية ، ص 79.

كما يمكن ثبات الذات " تيام" أيضا في علاقته مع الله وما تحمله من طقوس دينية فتيام شخصية صوفية مؤمنة إيمانا قاطعا بفكرة القيم والمبادئ التي سطرها الدين الذي ينتمي إليه في بلاد السنغال .

ومن ذلك إحياءه لليوم المشهود أو المقدس يوم الخميس وهذا ما تجلّى في القطعة السردية الآتية : "في يوم غد الخميس إنه يوم مشهود تقوم فيه مآدبة عظيمة ويقابل الشيخ فيه أتباعه جميعا فيعظّمهم ويرشدهم ويقضي حوائجهم المعوزين والفقراء منهم بما لديه من تفويض وسلطة في البلد".⁽²⁾

تيام رجل مواظبٌ على أعمال الخير مع الجميع بدءا بسكان حيه " تجمعت نسوة الحبي تحت شجرة الصنوبر الضخمة التي تظلل مدخل منزل تيام ثم خرج تيام عليهن يحمل لوازم الشاي وجلس على العتبة الإسمنتية واضعا الأحقاف والأواني وبدأ يعد لهن الشاي وعيون النسوة المتوجهة إليه والمتوهجة في آن واحد تترقب... صب الشاي المتترقق من إناء إلى إناء بفارغ الصبر".⁽³⁾، وتعامله هذا مع الغير أيضا، وهذا ما نلمسه في تعامله مع الوافد الجزائري إذ أحسن العون له في عدة مواقف ويظهر ذلك بوضوح في قول السارد: " فقد دقت الباب ونادت : تيام ، فخرج رجل في حوالي الأربعين من عمره ... ثم صافحنا، وطرحت عليه الفتاة الموضوع باقتضاب فأمرنا بالدخول ... فشكرته لكرمه وحفاوته وحسن استقباله... ارتحت لكلام تيام أيما ارتياح وأدركت أنه يحب العربية ، وتأكدت أن الأزمة قد فرجت تماما." ⁽⁴⁾ وقد وجد "الجزائري" في تيام الملجأ الذي يلجأ إليه في أوقات السؤم والحزن: " ولم أجد سوى تيام لأبث لديه بعض معاناتي وتحاورت معه في موضوع سيرابا، ومدى معاناتها في الغربة ثم قال لي: سوف أذهب إلى ذلك الحكيم.... ولعلك لا تصدق هذا" لقد كان تيام نموذج الذات الثابتة في كتم أسرارهِ.

(1) الرواية ، ص 21.

(2) المصدر نفسه ، ص 38.

(3) المصدر نفس ، ص 29.

(4) المصدر نفسه، ص 18.

وصفوة القول: نستنتج مما سبق ذكره بخصوص الذات الثابتة التي تجذرت ملامحها ومقوماتها في شخصية تيام ، رغم تمازج هذه الذات - تيام - بثقافة الآخر الغربي المسيحي وتقربه من الآخر الوافد الجزائري ، إلا أن هذه الشخصية لم تتزحزح وتتصدع لبنتها في النهل من موارد الغير بل بقيت متشبثة بمعالم قيمها ومبادئها السنغالية. (1)

د- الذات المتدينة (الشيخ الزاوية) :

شكل العنصر الديني في أحداث الرواية - سيرابا - لمحمد سعدون محورا هاما وقد جعل الذات المتدينة في شخصية شيخ الزاوية ، إذ جعله منبرا عبر من خلاله عن مختلف المعتقدات الدينية المهيمنة على الخطاب الروائي.

وبالتالي يمثل الشيخ الأكبر في رواية - سيرابا - الرجل المتدين الموقر صاحب مكانة مرموقة تحظى باحترام كبير عند الأتباع والموردين وكذا السلطات فهو رجل يملك العلم والجاه والسلطة .

ويمكننا أن تمثل لهذه الذات المتدينة واستدعاء الكاتب لها في ثنايا هذا المقطع السردي الآتي ذكره: " سنذهب غدا إلى الشيخ وسوف يلي طلبك ويجد لك عملا ، إنه عالم مثقف لا يخفى عنه شيئا ، وله نفوذ في السلطة ، ووصفه أوصافا تدل على اعتقاد راسخ وطاعة عمياء لهذا الشيخ الطرائفي الذي يملك العلم والجاه والسلطة والمال"(2)

فهو ذات مثقفة ملمة بعدة لغات (العربية، الفرنسية، الفرنسية، الألوافية) ويملك من القصور والمباني والبساتين والصياغ ما لا يحصى .

كما أشار الروائي إلى مدى فطنة وفخامة هذه الذات المتشعبة بقيم ومعتقدات شيوخ الزوايا ، فبالرغم إطلاع الذات المتدينة شيخ الزاوية على الآخر المسيحي وتقبل دينه إلا أن تمسكه بالعقيدة الإسلامية كان أعمق ما منحه فرصة التعرف على كل ما يتعلق بهذا الدين من مبادئ وكذا اللغة العربية كونها لغة القرآن الكريم وعلى هذا الأساس توجه الروائي شيخا للزاوية وخطيبا مرشدا، إماما للرعية السنغالية .

(1) الرواية ، ص 124.

(2) المصدر نفسه، ص 19.

ويجدر بنا في هذا المقام الإشارة إلى ما يدل على أنه ذو مكانة مرموقة عند إتياعه ومنه نستدل بالقول على لسان الوافد الجزائري: " ثم خرج الشيخ الجليل على الجموع الغفيرة يرتدي حلة صفراء مطرزة ويضع على رأسه عمامة تشبه عمائم الملوك الهند القدامى... وهم يرددون من حوله أرجوزة تائية في مدحه ومدح أجداده بأصوات رجيحة صافية ووتيرة واحدة من التصفيق"⁽¹⁾ وأما عن كونه خطيبا وإماما فذلك واضح حين " بدأ الشيخ بالحمد والثناء على الله عز وجل والصلاة والتسليم على النبي الكريم ، وأشار الشيخ إلى البدء بأن كلمته تتمحور حول معنى كلمة تقوى ودام تفسيره لهذه الكلمة أكثر من ساعة وهو يفسر ويستشهد باللطائف والعبر الدينية والصوفية ويضرب الأمثلة.⁽²⁾ "

ومن خلال ما سبق ذكره بخصوص هذه الذات المتدينة يظهر لنا المكانة التي يحظى بها شيوخ الزوايا في السينغال، خاصة والدول الإفريقية عامة.

3- صورة الآخر الدخيل /المغترب:

أ- الدخيل المثقف :

﴿ الدخيل في المفهوم اللغوي:﴾

وردت كلمة أو مصطلح الدخيل في معجم "المصباح المنير في غريب الشرح" يقال فلان دخيل بين القوم أي ليس من نسبهم ، بل هو نزيل بينهم ، ومنه قيل هذا الفرع دخيل في الباب ومعناه أنه ذكر استطراد ومناسبة"⁽³⁾ وعليه نستنتج أن لفظة الدخيل يعنى بها الشيء الغريب فيه والأجنبي عنه.

(1) الرواية، ص 41.

(2) المصدر نفسه، ص 41، 42.

(3) أحمد بن محمد الفيومي المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (مادة دخل)، ط1، دار الفكر، بيروت 1462هـ/2005م، ص 83

الدخيل في المفهوم الاصطلاحي:

أما فيما يخص المفهوم الاصطلاحي يقصد بالدخيل لدى عصبة من الباحثين والدارسين تلك الكلمة الأعجمية التي دخلت حقل اللغة العربية وبالتالي فالدخيل: "اللفظ الأجنبي الذي دخل اللغة العربية دون تغيير كالأكسجين والتلفون" (1)

نستشف من التعريف الذي سبق ذكره أن لفظة الدخيل تعني الشيء الغريب والنزيل.

تغلغت صورة الآخر الدخيل المثقف في أرجاء الرواية وتظهرت في شخصية الوافد الجزائري، يمكننا أن تشبهه بالحلل الزئبقي، الذي لا يمكن الإمساك به، فقد كان بمثابة العمود الفقري في المنجز الأدبي إذ تملك حرية التحرك والتلاعب في مواضع متعددة من الرواية لهذا اضطلعنا على تسميته بالمثقف، المتمكن في مجالات عديدة (العلمية، الفقهية، الدينية، السياسية)

أما في المجال الأدبي فنجد مفعما ومنتشعا بالمعرفة وقد تجلى ذلك في قوله: "وسهرت تام إلى وقت متأخر من الليل ونحن نقرب بعض الكتب التراثية القديمة المجلدة التي كان يحتفظ بها.... وقد راقته فصاحتي في اللغة العربية... وسألني على كلمة جفلى التي كان يتعطش لمعرفة معناها ففسرها له وقد هزه فرح شديد حين استشهدت له بيت جاهلي:

نحن في المشاة ندعو الجفلى لا ترى الآداب فينا ينتقر...

وشرحت له معنى البيت بتفصيل.... ورددته إلى أن حفظه" (2)

ويظهر جليا إطلاع هذه الشخصية ببعض أمور الدين حتى أنه يظهر في بعض المواضع فقيها في الدين، إذ ما فتح له المجال للحديث فيه مطولا، فهو مرة الصوفي الحدق ومرة المفسر والمرتل العالم بأحكام التجويد.

كما نلاحظ تظهر التصوف في قول السارد: "حدثته عن الحاج وعن بعض شطحاته وعن أبي حامد الغزالي وعن كتبه.... وقرأت له بعض المقتطفات من شعر ابن القارض وابن العربي وكان يسجل الأبيات التي تروقه ويعيد قراءتها أمامي بعد أن شرحتها له بطريقة صوفية وفككت

(1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مقدمة الطبعة الأولى، (مادة دخل)، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ/2004م، ص 31.

(2) الرواية، ص 18، 19.

الفصل الثاني : تجليات الآخر في رواية "سيرابا" لـ "محمد سعدون"

رموزها "(1). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى سعة ثقافة الوافد الجزائري في المجال الأدبي والصوفي.

كما نجد ضليعا بمبادئ الدين الإسلامي وحافظا للأحاديث النبوية الشريفة وآيات القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله الآتي ذكره: " وبعد خروجنا من عنده وقد تكدر مزاجي تماما قلت لتيام أنا لا أصدق هذه الأمور وأمقتها فهي مجرد شعوذة وافتراء وقد ورد في هذا العمل حديث شريف يقول: " من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد(2)" وما يؤكد وقوع هذه الصفة على الدخيل هو قيامه بترتيل بعض آيات القرآن الكريم في حين : "لم يصدق أهل الحي بأنني عربي إذ كانوا يعتقدون أنني فرنسي على الرغم من تأكيدي لهم بأنني عربي أصيل من الجزائر... إلا عندما طلبت من تيام ذات مرة أن أقرأ لتلاميذه السورة القرآنية (إقرأ بإسم ربك) أقرأتم بلسان خال من العجمة وبنبرة مختلفة عما تعودوه من تيام(3)"

ونلخص في ختام حديثنا عن الدخيل المثقف وسيورته داخل العمل الروائي بأنه البؤرة التي اعتمد عليها الروائي محمد سعدون في نسج خيوط روايته فكان بمثابة السارد أو الراوي لمجريات أحداث الرواية ، باحتمالية اعتماد الروائي لتثقيف شخصية الجزائري لتكون غطاء له للتحرك بأريحية في نصه الأدبي والتحكم في زمام الأحداث.

ب- دخيل الخطيئة :

﴿ مفهوم الخطيئة: يعني بمصطلح الخطيئة : الخروج عن طريق الحياة التقليدية التي تفرضها طائفة دينية أو أخرى أو من التقاليد التي يملئها الرأي العام وتولد عواطف وإغراءات.(4) ارتسمت صورة الآخر -دخيل الخطيئة - في الرواية بذات الوافد الجزائري ، فرغم انحداره من بلد عربي إسلامي يفرض عليه التقيد بآداب خاصة عندما يكون ضيفا يمثل بلده أحسن تمثيل

(1) الرواية ، ص 31.

(2) المصدر نفسه ، ص31

(3) المصدر نفسه ، ص 50.

(4) محمد شحور ، ماهي الخطيئة في البوذية واليهودية وفي الإسلام ، في المسيحية ، 2021،

.11:40 ، Ara.culturell.com 20/05/2021

الفصل الثاني : تجليات الآخر في رواية "سيرابا" لـ "محمد سعدون"

بدأ الآخر الدخيل بحب عذري إزاء فتاة سنغالية - سيرابا - لكنه يعجز عن مصارحتها بذلك ومع مرور الأيام والشهور يقع في الخطيئة التي ينجر عليها الإثم والعقاب وخاصة إذا كانت مع امرأة متزوجة ، وتكمن حقائق ومجريات الخطيئة في الخيانة التي وقعت بينه وبين الفتاة السنغالية - سيرابا- وذلك ما جسد وتم ذكره في المقطع السردي الآتي : "زرت عمر لاي ذات ليلة ، فلم أجده ، فمكثت أنتظره في البيت لأسهر معه ، وتحدثت مع سيرابا مطولا وحاولت أن أخرج فألحت علي بالبقاء.... كانت سيرابا ترتدي شملة بيضاء أحسست أن سيرابا تتقدم مني.... لم تفلتني سيرابا" (1)

ومن ثم يقع الوافد الجزائري في الخطيئة هاته التي انجر عليها الإثم والعقاب الإلهي والوضعي، وان عدنا إلى تتبع مجريات الحادثة لوجدنا أن هذه الخيانة خارجة عن إرادته ، إلا أنه في آخر المطاف يستسلم إلى النفس الأمانة بالسوء لتلقى به هذه الأخيرة في غياهب فتنة النساء والإغواءات بمحض إرادته، معترفا : "لم أستفق من هذه الدوامة الغربية والعنيفة إلا حين اقتربت مني أمنتا ... ابتسمت كعادتها وتقدمت مني قائلة : مساء الخير، كيف حالك حبيبي؟ وقد أغرتني بصوتها الأنثوي المثير... وبعد دردشة سخيفة معها لا هدف لي من رؤياها إلا الإثم وممارسة الحب. (2)"

وعليه تجسدت ملامح صورة خيل الخطيئة في ذوات الوافد الجزائري، فلو عدنا إلى التوغل في البحث عن الإرهاصات لهاته الخطيئة لوجدنا أنها تذكرنا بحياة المجتمعات الغربية التي لا تمت إليهم القيم الأخلاقية بصلة، بل حياتهم كلها هو وخيانة .

إلا أن هناك طبعا علاقة طردية وجدلية قائمة وتتمحور بين الأنا (الذات السنغالية) والآخر (الدخيل).

ج- الآخر الدخيل المتردد:

قبل أن نتحدث عن الذات المترددة ، لا بد أن نوضح المعنى الذي أردناه بهذا المسمى .

(1) الرواية ، ص 47، 48.

(2) المصدر نفسه ، ص 65.

فالذات المترددة خاصتنا هي تلك الذات التي تجد دائما صعوبة في اتخاذ القرارات ، بحيث نجد هذه الذات المترددة دائما تعيش في وتيرة مضطربة لكي تتخذ قراراتها المصيرية .

ونلمس تفصيلات صورة الآخر الدخيل المترددة في متن الخطاب السردي لمحمد سعدون قد تجلت في ذات الوافد الجزائري الذي كان يعاني من صراع نفسي وارتداد كبير لوحظ في مسار حياته، وهذا ناتج عن حبه للفتاة السنغالية - سيرابا - التي تعرف عنها أثر بعده وغربته عن وطنه إبان العشرية السوداء ، والتي وجد من خلالها ذاته المفقودة التي طالما كان يبحث عنها، رغم المعيقات التي كانت بمثابة العقبة التي عرقلت حياته وجعلتها في تذبذب وتقلب.

بدأ تردد هذه الذات في محاولة البقاء إما في السنغال أو العودة إلى أرض الوطن -الجزائر- وهذا ما نجده ماثلا في المقطع السردى الآتي : "غادرت سيرابا أرض السنغال مخلفة وراءها نكهة أبدية لاتزول... وازدادت نفسي انقباضا مع الأيام وأطبق علي يأس داهم كالموت فكرت في الرحيل إلى الوطن بعد أن توارت سيرابا إلى الأبد وأمسييت أتجموع الحزن في كل حين"⁽¹⁾ ويواصل الكاتب رسم معالم تردد الدخيل في قوله: " بين سيرابا وهذا القلب العالق بثناياها وطن ينازعني بالعودة إليه في كل وقت ، وطن أشرقت عليه الشمس من جديد وانقشعت عنه غيوم الفتن والإرهاب.... اشتقت إلا تلاله وجباله، إلى صحرائه ورماله... وقررت البقاء آملا أن تعود سيرابا قريبا"⁽²⁾

كما نلاحظ تردد هذا الدخيل في عدة مواضع من الرواية وبالضبط في علاقته مع سيرابا وتردده في الاعتراف بحبه لها في كل مرة مع وجود ثلاثة فرص كان بإمكان أن يتقدم خطوة نحوها لكنه اكتفى بالمراقبة من بعيد، وفي كل مرة تذهب لغيره ، ونلمح ذلك في قوله " ثم غادرنا البيت وقد اشتغلت في نفسي نيران لا ينطفئ أوارها حتى كدت أن أصارح تيام بأنني متعلق بها ولكنني آثرت أن أكنم هذا الأمر في نفسي ولم أشأ أن أتسرع أو أستعجل وأنا لا زلت أشق طريقي المجهول

(1) الرواية ، ص 125 ، 126.

(2) المصدر نفسه ، ص 35.

"(1) ويثبت الكاتب في موضع آخر من الرواية ما يؤكد" لم أنتظر بعد وصول رسالتها إلى حتى كتبت إليها على الفور أواسيها وأبث إليها بعض أشجاني وكدت أن أصارحها بما يختلج صدري من نوايا وخواطر وخفت أن أفاجئها بما لم يكن في حسابها" وهذا ما نلمسه من خلال القراءة المعمقة للمقطع السردي التالي: "ترى إلى متى وأنا لم أفتح سيرابا بحبي لها وقررت أن أفتح معها حوارا في الموضوع ... وقلت في نفسي سوف أنتظر حتى تتم القضية ويندمل الجرح ثم استميلها رويدا رويدا وأسوسها باللطف والمرونة لامتلاك قلبها" (2) ويمكن تفسير التردد لحظة الاعتراف بالحب بأنه ناجم من خوف شديد لرفض سيرابا لهذه المشاعر أو وعلى الشخصية بحقيقة سيرابا المتمردة وعدم تقبله لهذا النوع من التمرد .

وتكرر في نفس الدخيل المترددة فكرة الندم حول ما فعله من خطيئة تجاه صديقة "عمر لاي" ، فنجده يوشك على الاعتراف له بالخيانة التي حدثت مع زوجته سيرابا لكنه ما ينفك يتراجع عن ذلك ، فتداهمه جملة من التهيؤات والتوقعات [خرجت من بين عمر لاي يغشاني القلق والندم عن هذا الخطأ الفادح] (3)

ويسترسل في شهوة المتخاذل " واتجهت إلى زيارته بعد قدومه ولم أكن مطمئن البال حيث ترددت كثيرا بين الواجب وتأنيب الضمير ... فتلك الليلة قد لوثت صفاء العلاقة بيني وبينه مما زاد الطين بلة هذا الولد الأبيض الذي سوف يبقى دليلا شاهدا على الخيانة" (4)

لكنه سرعان ما يعيد ترتيب مشاعره لينقص من شأن فعلته مع عمر لاي قائلا: "وشعرت بأن كلماتي لم ترح عنه ذرة من ذلك الهم الجاثم على صدره ثم عراني ذلك التصلب في القلب من جديد وصرت أنظر إلى الموضوع وكأنه أمر تافه" (5)

(1) الرواية ، ص 124.

(2) المصدر نفسه، ص 133.

(3) المصدر نفسه، ص 48.

(4) المصدر نفسه، ، ص 55.

(5) المصدر نفسه، ص 58، 59.

هي في الحقيقة تبريرات وضعها لنفسه ليبرر الخطيئة التي وقع فيها ليثبت لنفسه قبل غيره ليس مذنباً تجاه أي أحد ولا يدين باعتذار لأي أحد وقد تكون جراء ما يشعر به من جبن وخوف نتيجة الاعتراف.

يتضح لنا من خلال توظيف المعمار الفرنسي في رواية سيرابا مدى التأثير المادي الذي تركه "الآخر" في محيط "الأنا" ، هذا التأثير بد جليا وبشكل صريح في أول صفحات الرواية على لسان الوافد الجزائري كما أن وجود هذه الشواهد المعمارية دليل على أن الاستعمار الفرنسي قد قضى زمنا في بلاد السنغال زمنا يبدو كافيا ليشد له بنيانا على أرضي.

ومن هذا يمكن القول إن المعمار الفرنسي قد ساهم في إعمار هذه البلاد أو على الأقل دفعها نحو التطور والتمدن .

انشطرت الجدلية القائمة بين الآخر والأنا إلى ثلاثة صور تركزت حول الآخر ففتح عنها ذوات محورية تعكس الآخر المؤثر ، والآخر المتأثر ، والآخر الدخيل ، وقد تفاعلت هذه الذوات فيما بينها مشكلة المتن الحكائي "سيرابا".

الفصل الثالث:

صراع الحضارات في ظل ثنائية الأنا والآخر

في رواية "سيرابا" لـ "محمد سعدون"

أولا- صراع الحضارات في ظل ثنائية الآخر والأنا

1- الحضارة الأوروبية : فرنسا نحو طمس الهوية السنغالية

1- الدين المسيحي

1-2- التواجد الفرنسي الاستعماري .

2- الحضارة الإسلامية : الوعي والتنوير

2-1- الدين الإسلامي

2-2- اللغة العربية (مكسب ديني)

3- الحضارة الإفريقية : السنغال ملتقى الحضارات

3-1- التقاء الأديان

3-2- تعانق اللغات

3-3- تمزق الأنا السنغالية .

أولاً - صراع الحضارات في ظل ثنائية الآخر والأنا

يختلف مفهوم صراع الحضارات باختلاف المنظور الموجه نحوها، أو بالأحرى الاعتقاد المتشكل حول فكرة الصراع الحضاري والذي يختلف من شخص لآخر وكيفية معالجته لهذه الأطروحة. فعالم التاريخ ينظر للصراع الحضاري من منظور تاريخي، وباحث الأدب يكتفي بالبحث في الحضارة الأدبية، من منطلق أن الحضارة تطلق على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنطلق من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متماثلة.⁽¹⁾

ويقتصر عملنا في هذه السطور على توضيح الجانب الذي تناولنا منه فكرة صراع الحضارات في حدود ما جاءت به رواية "سيرابا" لمحمد سعدون في ظل ثنائية الأنا والآخر.

تتناول رواية "سيرابا" صراعا حضاريا قائما بين ثلاث حضارات عظمى، الحضارة الإسلامية، والأوروبية والإفريقية متمثلة في السنغال، لكن الالفت للانتباه أن هذا الصراع لم يكن كذلك الذي تحمله الكلمة من معنى وإنما كان صراعا غير مباشر لفرض هيمنة كل حضارة على أرض مستوطنة، صراع بارد، لم يتجسد فعليا ولكن أثاره كانت واضحة بشكل جلي:

لقد كان الصراع البارد غير المتوقع والاعتباطي الحدوث، قائما في الأساس بين الحضارتين الأوروبية والإسلامية، فقد اجتمعنا في هدف واحد (التوسع والانتشار) لكنهما اختلفتا في الطرق والسبل.

فالأوروبية لجأت للاستعمار والاستيطان في حين أن انتشار الحضارة الإسلامية كان عن طريق الدخول للإسلام أو التجارة وعن طريق الاحتكاك والتأثر أيضا، ومن كل هذا تولدت حضارة أساسها الامتزاج ألا وهي السنغال.

(1) إدير الظاهر وبنادي محم الطاهر، الحضارة في ذكر مالك بن نبي، مجلة الفكر المتوسطي، العدد 2 (2020م)، المجلد 09، التاريخ:

1- الحضارة الأوروبية : فرنسا نحو طمس الهوية السنغالية

إمتد نفوذ المستعمر إلى رقعة جغرافية تحالفه في الهوية مما جعله يحاول أن يفرض هويته على الأنا المستعمرة ، من خلال فرض منطقة وتغليب حضارته على الحضارة المستضعفة على أبعاد مختلفة تتراوح بين اللغة ، الثقافة ، الدين .

وتعد الحضارة الأوروبية من أعظم الحضارات التي هيمنت بقوتها في جميع الأصعدة على الدول النامية ، وفرضت سلطتها وسعت هي الأخرى إلى تمزيق وتشويه هوية الدول النامية وجعلها دول خاصة لسلطة الحضارة الأوروبية باعتبارها قلب الأمة النابض ، " والهوية من حيث كونها أمرا موضوعيا وذاتيا معا هي وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة أو طبقة في إطار الانتماء الإنساني العام" (1)

والهوية عند "زهيرة مزارة" هي التي تعمل على تشبع حاجة المواطنين إلى الإحساس بالانتماء والبحث عن هويتهم الحقيقية (الإسلام).

وإعادة اكتشافها ، ومن ثم التوجه نحو تكريس الشعور بهذه الهوية وتعزيزها الأمر الذي حول في نهاية المطاف الدول القائمة إلى أجسام غريبة في مجتمعاتها التي لم تتردد في رفضها والعمل على الإطاحة بها ، وإقامة الدول التي تعتقد أنها الأقرب إلى تجسيد هويتها الحضارية . (2)

وقد بدت فرنسا ظاهرا محاولة تحسين الهوية السنغالية لكنها سعت حقيقة إلى مزج الهوية السنغالية مع الهوية الفرنسية ثم القضاء عليها نهائيا من خلال تغليب الهوية الفرنسية مقابل طمس الهوية السنغالية وقد رصدنا ذلك من خلال عدة نقاط منها.

(1) علي ليلة، الأمن القومي العربي في عصر العولمة، اختراق الثقافة وتبديد الهوية مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، مصر ، ط1، 2012، ص 93.
(2) زهيرة مزارة، القراءة للتراث والهوية في زمن العولمة ، يوم: 27 فيفري 2017 ، جامعة الجليلي بونعامة (خميس مليانة)، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإجتماعية ، ص 4.

1-1- الدين المسيحي:

من أهم الأمور التي يركز عليها أي غاز هو الدين واللغة فهما عنصرا أساسيان في حياة أي مجتمع، فالتركيز عليهما ومحاربتهما يسهل عليه السيطرة على هذه الشعوب المغلوبة على أمرها. فالسرد في رواية - سيرابا- لم يغفل هذا الجانب، فأعطاه جانبا من الأهمية فذكر لنا بعض الآثار والمعالم التي تدل على من قام به المستعمر الفرنسي في بلاد السنغال من نشر للمسيحية. وأول ما شد انتباه السارد وهو في الطائرة القادمة من فرنسا والمتوجهة إلى (دكار) عن طريق الجزائر وهو أحد المسافرين فيها تلك الشردمة من الشباب الطائش الذي ملأ الطائرة هرجا ومرجا. وعندما طفق يتجول بأرجاء المدينة "دكار" أستوقفه تمثال المسيح ومريم العذراء على مدخل الكنائس في صورة زنجيين أسودين وهذا يدل على كثرتهما.

ومن الواضح أن الهدف من بناء هذا المعمار كان من أجل ترسيخ الديانة المسيحية في السنغال، فكل ديانة لا بد لها من شعائر وطقوس دينية ، وبالتالي فبناء أماكن مقدسة لتأدية هذه الطقوس ستساعد كثيرا في تجذر المسيحية في السنغال ثم انتشارها وتبنيها من طرف الشعب السنغالي ودليل وجود هذه البنايات في الرواية : " واستوقفني تمثال المسيح ومريم العذراء على مدخل الكنائس في سورة زنجيين أسودين ، وتمت طويلا في فلسفة السواد المتألق منها، وشدت انتباهي تسبيحة من الإنجيل المقدس منحوتة بشكل بارز في كل مدخل... بالمسيح عليه السلام"⁽¹⁾

والمستعمر دائما ما يحاول أن يركز على مواطن ضعف الدول النامية كي يفرض سيطرته عليها ، وهذا ما نجده ماثلا في الرواية -سيرابا- إذ سعى إلى تشييد وبناء مدارس ليس حبا لأهل السنغال بل بحجة بل بغية في نشر دينه وتكريس معلمه لدى أطفال السنغال منذ نعومة أظافرهم ، بحكم أن الأطفال ورقة بيضاء يستطيع رسم عليها ما يشاء وهذا ما نلمسه في قول الروائي على لسان الوافد الجزائري : " ودعاني الفضول للإطلاع على ما يوجد داخل هذا البناء العظيم

(1) الرواية ، ص06.

فاقتحمت المكان وأخبرني الحارس الزنجي بأنها مدرسة خيرية يتعلم فيها الأطفال الديانة المسيحية بالمجان⁽¹⁾

ومن المعالم التي سطرها الآخر المسيحي في ذات الشعب السنغالي يذكر على سبيل المثال :
تسمية أبنائهم بأسماء مسيحية من مثل: اختيار سيرابا اسم مولودها "عيسى" نبي الله - عيسى عليه السلام- " بدأ الحمل يظهر على سيرابا ثم وضعت طفلا ببشرة بيضاء وعينان زرقاوان وأسمته -عيسى- " (2)

وفي آخر الرواية يجسد لنا الروائي كيفية تشييع الجنائز المسيحية على أرض السنغال ، فأبرز لنا مدى تجاوب الأنا السنغالية مع طقوس ومعتقدات الآخر المسيحي ، رغم اختلاف مشارب كل من الدين المسيحي والدين الإسلامي.

كما ييث الكاتب في موضع آخر في هذا المقطع الحواري: " طرقت سمعي أنغام لمزامير شبحية تصدر من موكب جنائزي يمر غير بعيد من الزاوية فقلت : ماذا هنالك يا عمر؟
قال : أنها جنازة مسيحية متجهة إلى المقبرة.

قلت: هل يمكن الذهاب هناك لمشاهدة طقوس الدفن؟

قال: لا إحراج في ذلك إطلاقا فنحن -المسلمين- نشيع جنائزهم وهم يشيعون جنائزنا.⁽³⁾
ومن خلال ما رسمه لنا الروائي "محمد سعدون" في رواية سيرابا من معالم الديانة المسيحية نخلص بأن الآخر الفرنسي استطاع إلى حد ما نشر جذوره المسيحية في الأنا السنغالية ليس حبا لها ولا لتمجيد حضارتها ولجعل منها دولة مرموقة بين غيرها من البلدان بل كان شغفه التمرکز على الدول البدائية والسذاجة خاصة تلك التي تقوم المبدأ القبلي (السنغال) ، ثم بسط معالمه في هاته الدول وجعلها وعاء يصب فيه ما يشاء.

(1) الرواية ، ص06.

(2) المصدر نفسه ، ص54.

(3) المصدر نفسه، ص86.

1-2- التواجد الفرنسي الاستعماري:

الاستعمار هو نفسه الاستعمار في جميع أصقاع الأرض ، فالهدف واحد وهو السيطرة على الشعوب الضعيفة والمتخاذلة، والمستعمر الفرنسي من خلال الرواية نلمس محاولة لطمس الهوية السنغالية والقضاء على التقاليد والمعتقدات...

فالسارد يذكرنا بما شاهده وهو يتجول في مدينة دكار من مطاعم فاخرة وفنادق وحانات أنيقة، كلها شيدت على النمط الفرنسي الأوروبي " انطلقت في شوارع دكار أتأمل ما تحتويه واجهات المحلات من سلع كثيرة وباهظة الأثمان من آلات صناعية وسيارات من أعلى طراز ومررت بالمطاعم الفاخرة والحانات الأنيقة والفنادق الفخمة والحدائق العامة" (1)

وفي الجانب المقابل يذكر السارد بعض الطبقة من فئة الشعب المغلوب على أمره: " ونالت من نفسي تلك الفئة العريضة المسحوقة التي تتضور جوعا على أرصفة الطرقات في الساحات العمومية وهي تضل ليلها بنهارها تحت رحمة السماء وبؤس الأقدار" (2) ، وهذا هو هدف المستعمر الفرنسي وإن نال استقلاله يبقى دائما خاضعا لجبروته، وخاصة إذا ترك حكاما ضعهم قبل ذهابه وما أكثرهم في إفريقيا السوداء ، فدكار نموذج لأكثر من مدينة أفريقية مر بها المستعمر الفرنسي "داكار حلبة واسعة يستبد فيها جبروت المادة بشكل رهيب ويصول فيا البؤس كالتنين الذي لا يقاوم" (3).

وقد اعتمد المستعمر الفرنسي في محاولاته لطمس الهوية السنغالية على نقاط مهمة في بناء كل دولة وتوجيه ضربات متتالية لإسقاط درع هوية هذا البلد.

أ- اللغة الفرنسية:

السنغال من البلدان الإفريقية الناطقة باللغة الفرنسية والتي اعتمدها كلغة رسمية لها وهذه نتيجة حتمية قام بها المستعمر الفرنسي مدركا الدور الكبير الذي تلعبه في التأثر والتأثير في ذهنية

(1) الرواية ، ص 09.

(2) المصدر نفسه، ص 10.

(3) المصدر نفسه، ص 10.

الناطقين بها ، بالرغم من انتشار اللغة الأولوفية وتكلم أغلب السكان بها إلا أنها همشت واستبدلت باللغة الفرنسية، فالسارد أعطاها حيز من الرواية " كانت تلك الفتاة البارزة اللسنية والمعتدة بنفسها تتحدث مع عمر لاي، وهو يروي لها قصتي ، وأثناء ذلك كانت تحدجني بعيون مهتمة لا تخلو من تأثر الأنثى ورقتها ، ثم وجهت لي الكلام باللغة الفرنسية مطمئنة إياي قائلة بلهجة حازمة: لا تفكر سأجد لك حلا تعالى معي" (1)

ودليل انتشار اللغة الفرنسية وخاصة في أوساط الشباب من كانت له الحظوظ في دخول المدارس الرسمية أو التبشيرية ، فالسارد يذكر في كثير من الأحيان عند تجواله واختلاطه مع العامة وعجزه عن فهم ما يدور في ما بينهم باللغة الأولوفية فيخاطبونه باللغة الفرنسية "تجرات واحدة منهن وسألني عن اسمي وعن بلدي ... باللغة الفرنسية" (2)

ب- اللباس الأوروبي:

يعتبر اللباس من أهم الرموز الخاصة بكل دولة ، فهو يعكس هوية الشعوب ويحدد خصوصية عدة مؤشرات ، كاليئة ، والعرق، والجنس.... فقد يتعدد نمط اللباس في المنطقة الجغرافية الواحدة ، فيعتبر مرآة عاكسة لهذه الحدود ... لذلك فإن عبث اليد الخارجية بهذا المقوم السيادي.

سيكون بمثابة شربة قوية نحو تغييره وطمس هويته الأنا.

لذلك سعى الاستعمار الفرنسي إلى التأثير غير المباشر على نمط اللباس السنغالي وهذا ما نجده ماثلا في قوله: " قابلي عمر لاي بزوي أوروي أنيق وقد امتلأ بدنه الذي كان نحيفا وبدت عليه اشراقة طفيفة خيل إلى أنها مفتعلة يتوارى من خلالها حقد أسود" (3) ونلاحظ ذلك أيضا في

(1) الرواية ، ص 16.

(2) المصدر نفسه، ص 30.

(3) الرواية ، ص 56.

مقطع آخر " وبعد لحظات خرج بدلته الأوروبية الجديدة وتذكرت هيئته قبل سفره إلى أوروبا حين كان يرتدي الجبة ويلف السبحة على يده ويستاك بعود الأراك ، تغير عمر لاي تماما" (1)

يصور هذان المقطعان درجة التأثير الذي الفتته حول الأنا السنغالية ، وقد ساهم عامل التعلم ومغادرة البلاد في تسريع وتيرة هذا التأثير الأوروبي وتوسع ليشمل الجنس الأنثوي أيضا.

استطاع الكاتب من خلال رصد ملامح الحضارة والثقافية من ملبس واللغة ودين أن يمرر مفهوما محوريا يحيل بالدرجة الأولى هيمنة المركز الآخر مقابل "الأنا" الهامش تقاليد الآخر المركز من خلاله تنصل الشخصيات سيرابا والآخرين أذكريهم من لغتهم الأم وتقاليد الملبس ونط العيش.

2/ الحضارة الإسلامية : الوعي والتنوير

شهد العالم ازدهار الحضارات بالجزيرة العربية إذ ارتكزت على الديانات السماوية ومنها الحضارة الإسلامية.

وتقول في هذا الشأن "إكرام المعني" في كتابة مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية هو أن الدين وحي سماوي من الله أما الحضارات فهي نقاط التلاقي بين وحي الله ونشاط الإنسان في مكان وزمان معينين.

فعندما يلتقي الوحي الإلهي مع بشر يعيشون في إطار الزمان والمكان تتكون الحضارة التي تتلون بعبادات وتقاليد ولغة وثقافة هؤلاء البشر فالحضارة الإسلامية التي ظهرت للعالم بعد ديانات مسيحية ويهودية التي مسحها التعريف والتزوير وبعد جاهلية جهلاء طغى فيها الإنسان على أخيه الإنسان ثم أخذت هذه الديانة في الانتشار حتى بلغت مغارب الأرض ومشارقتها وجنوبها وشمالها

(1) الرواية ، ص 75.

فما هي تحط رحالها في بلاد السنغال هدفها نشر الوحدة والإخاء بين الشعوب وعبادة الله الأوحد فالسارد لم يغفل على هذا الجانب في الرواية وسلط الضوء على نقطتين أهمها: (1)

2-1- الدين الإسلامي:

وقد كان حضور الدين الإسلامي في الرواية حضور سلمي إذ انتشرت معالمه بشكل غير مقصود عبر عدة طرق ومن بينها ، الاحتكاك ، التأثير ، التجارة ، الهجرة ، البعثات .

والدين الإسلامي دين وعي وتنوير قائم على أساس صحيح ومسلم به وقد ساهم مجموعة من الأفراد في نشر هذا الدين الحنيف وهذا ما نجده ماثلا في شخصية شيخ الزاوية الذي طالما سعت إلى نشر معالم الدين الإسلامي للرعية السنغالية: " ثم خرج الشيخ الجليل على الجموع الغفيرة، يرتدي حلة صفراء.. ومشى يشق الجموع في موكب حافل من الأتباع وبدأ الشيخ بالحمد والثناء على الله عز وجل والصلاة والتسليم على النبي الكريم" (2)

ويكمن تأثير السنغاليين المسلمين بتعاليم الدين الإسلامي في تأديتهم للفروض والسنن الإسلامية كالصلاة والصوم وبعض القيم السمحاء كالتسامح والتجاور والإحسان لبعضهم البعض ويتبين ذلك في قول الروائي: " فدقت الباب ونادت : تيام... تيام فخرج رجل حوالي الأربعين من العمر... وطرحت عليه الفتاة الموضوع باقتضاب فأمرنا بالدخول خافضا لنا جناح كرمه" (3) ورغم فقر الشعب السنغالي إلا انه كان يتكلف في إكرام الضيف وهذا ما نلاحظه في مقطع السردى على لسان "الآخر" الجزائري في قوله : "إنه البيت الذي شعرت فيه بأني أثير فعلى الرغم من فقر تيام إلا أنه يتكلف أحيانا ليقدم لي عشاء مميذا في عدة سفرات متنوعة" (4) .

(1) درقية العلواني وآخرون: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير : منى أبو الفضل، نادية محمود مصطفى، دمشق، دار الفكر، 2007، ص 174.

(2) الرواية ، ص 41.

(3) المصدر نفسه ، ص 17.

(4) المصدر نفسه ، ص 67.

ولا يقتصر الجود والكرم عندهم إلا مع الغير بل يتجاوز ذلك حتى التعايش مع بعضهم وذلك كما يتبين في المقطع السردي الآتي ذكره " ثم أحضرت الخادمت إناء واسعاً مملوءاً أرزاً وعليه قطع السمك كبير، وتقدم الجميع للأكل بأيديهم دون ملاعق" (1) وكما سبق قوله سلفاً على تأديتهم للفروض الدين الإسلامي يتجلى ذلك في أهم المعالم التي رسمها لنا الروائي في الخطاب السردي ومن بينها تأدية الصلوات تعليم القرآن الكريم وذلك في قوله " أنا إمام أنوب في الصلاة بالجماعة في الزاوية فضلاً عن كوني معلماً للقرآن الكريم أعلم الصبية في واکام" (2)

كما نلاحظ أيضاً قوله: " صلى الشيخ بالحضور صلاة المغرب والعشاء وأثناء السهرة امتزج بأتباعه في تواضع جم وتقدمت شخصيات من شيوخ القبائل ووجها البلد... وطرحوا مسائل كثيرة لم أفهم فحواها" (3) ومن خلال مما ينبثق ذكره يتضح أن الشعب السنغالي مفعم بروح التسامح والقيم الدينية والانجذاب نحو تعاليم الدين الإسلامي حيا وطواعية دون إكراه .

وللحديث عن اللباس السنغالي المسلم ركن خاص فهو لباس محتشم لكلا الجنسين فنجد المرأة السنغالية المسلمة ترتدي ثياباً تستر كامل جسدها بأسلوب سنغالي محافظة بذلك على عاداتها وتقاليدها عكس المرأة السنغالية غير المسلمة التي كانت تمتاز بالتعري وإظهار مفاتيح جسدها ، وحتى وإن بدأ في بعض المقاطع من الرواية أن تلك النسوة كاسيات العاريات هن سنغاليات مسلمات إلا أنه في الحقيقة أمر خاطئ لأن المسلمة الحقيقية تعلم جيداً أن تعاليم الدين الإسلامي يحرم هذه الأشياء ، وهذا ما نجده ماثلاً في قوله "كانوا يرتدون جلابيب إفريقية ذات ألوان صارخة أما النساء فيلتحفن بشمالات شقت عن بعض الأجراء الحساسة" (4) وكما أشرنا سابقاً فإن بعض السنغاليين المتصوفين لديهم فكر تصوفي مغلوط بعض الشيء ومفهوم خاطئ لتعاليم الإسلام وهذا يؤكد لنا فكرة دخول الإسلام للسنغال عن طريق الهجرة وتمثل ذلك في

(1) الرواية ، ص 23.

(2) المصدر نفسه ، ص 21 .

(3) المصدر نفسه ، ص 42.

(4) المصدر نفسه ، ص 22.

المقطع السردي الآتي ذكره " ولم يكن تيام ضليعا في الفقه والدين بل كان تدينه خليطا من البدع والخرافات فأنا ألاحظ عليه كل صباح الإرهاق واصفرار اللون وهو يسهر الليالي الطوال في الركوع والسجود وتلاوة الأوراد.. ولم استفق من صدمة الأولى حتى أضفت قائلا اعلم يا صديقي تيام بأن الكتب التي تقرأها هي من صنع اليهود فاهتز مرة أخرى " (1)

ووجود الزوايا عوض المساجد في مواجهة البنايات المسيحية الضخمة من كنائس ومعابد ورغم قلة عدد هذه الزوايا وقلة الإمكانيات المادية والبشرية إلا أنها ساهمت بشكل كبير في التعليم وحفظ القرآن وإيتاء الزكاة والصدقات ، فقد كانت منبر الكافة العبادات والمناسبات الخاصة بالمسلمين ولعل المقطع الآتي يجلي ذلك " وذات يوم ضرب لي تيام موعدا مع الشيخ الأكبر فركبنا حافلة النقل وكانت ماري معنا واتجهنا إلى متيح ووجدنا الزاوية تكتظ بالأتباع الذين جاءوا من مناطق نائية... ويقتضي حوائج الفقراء والمعوزين منهم بما لديه من تفويض وسلطة في البلد." (2)

2-2- اللغة العربية (مكسب ديني):

اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي تدعم الثقافة وتعزز التراث وتقوي اللحمة بين أفراد المتكلمين بها، فهي تكتسي أهمية كبيرة في الحياة الأمم ، فهي أداة تنقل بها الأفكار والمفاهيم وهي التي تنشئ روابط الأمة.

وبعد انتشار الإسلام في بلاد السنغال واختلاط المسلمين العرب بالسكان الأعاجم عبر المعاملات الاقتصادية ، والتعليم والمصاهرة ، الأمر الذي جعل من الضرورة بمكان تعلم لغة الوافدين وخاصة اللغة العربية لغة الدين الإسلامي الذي اعتنقه العديد من السكان الأصليين ، فانتشرت الزوايا تتنافس فيما بينها على تعليم لغة القرآن الكريم لأبناء السنغال ، وفتحت المدارس والكتائب وتعليم العربية، يقول الإمام مالك : " من تكلم في مسجدنا بغير اللغة العربية أخرج منه

(1) الرواية ، ص 32.

(2) المصدر نفسه، ص 38.

مع أن سائر الأنفس يجوز له النطق بها" (1) وقال أيضا: " فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض وواجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض لا يفهم إلا بفهم اللغة العربية" (2)

وقد أعطى الروائي لهذا الجانب أهمية كبيرة في رواية "سيرابا"، وإذا أردنا أن نوضح هذه الفكرة ، يمكننا أن نستدل بما جاء في المتن الحكائي خاصتنا ، حيث ورد أن أول عمل حصل عليه الوافد الجزائري عند شيخ الزاوية كان تعليم الصبية مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم: "ثم شرحت له وضعيتي وحاجتي الآن للعمل فذكرت له مؤهلاتي العلمية ، فوعدني بتسوية وضعيتي واقترح عليا مبدئيا أن أقوم بتدريس الأطفال في منطقة قريبة من داکار ... فوافقت على الفور وأدرکت من خلال حديثه أنه رجل مثقف فعلا ثقافة وأنه متمكن من ناحية اللغة العربية ولم يخل حديثه أثناء الحوار معي من بعض العبارات الفرنسية" (3)

كما كان الإمام تيام يقوم بجانب عمله إمام يخلف شيخ الزاوية في الصلاة يعلم الصبية مبادئ اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم " قال: أنا إمام أنوبه في الصلاة بالجماعة في الزاوية فضلا عن كوني معلما للقرآن الكريم: أعلم الصبية في داکام وأتقاضى من عنده شهريا خمسا وعشرين ألف فرنك فرنسي قديم ، قلت أو هل بقي هذا المبلغ الزهيد بحاجياتك؟

قال: أبدا: إنه مبلغ رمزي، ولكنه يمنحني في كل شهر قسطا من الأرز والسكر والشاي" (4)

وانطلاقا من مبدأ من يعلم اللغة العربية يكسب الأجر من الله تعالى وكذلك لمن أراد فهم القرآن الكريم والسنة النبوية والعلوم الإسلامية بالعموم من غير العرب، يبقى عليهم بذل ما بوسعهم تعليمهم اللغة العربية ويبقى على الملمين الذين لا يعرفون اللغة العربية أو معرفتهم بها قليلة أن يعلموها.

(1) أحمد الإدريسي ، خطبة الجمعة ، من أنواع البصائر إلى صداع الحناجر ، دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان ، 1971 ، ص 61.

(2) المرجع نفسه، ص 62

(3) الرواية ، ص 39 ، 40.

(4) المصدر نفسه، ص 19

علما بأن اللغة العربية من أقدم اللغات على الأرض وأكثرها اصالة ومن يعلمها يكسب الأجر من الله تعالى ولهذا نجد الإقبال على تعلمها تكثفة الكثير من الطرق البدائية والتقليدية التي تنفر الطالب أكثر من الطرق البدائية والتقليدية التي تنفر الطالب أكثر ما تحفزه ، والحديث بها لكنه سودانية بعيدة عن القصة: " خرج تيام على تلاميذه العراة أو بالأحرى بأسمال رثة تغطي جزءا من أجسامهم السمراء النحيفة في هيئة فهد أسود بعباءة ... والإلتزام وقرأ التلاميذ شيئا من القرآن الكريم ولم يكن تيام فصيحاً بل كانت العجمية تخالط لسانه والتلاميذ يرددون بعده الآيات القرآنية بنفس الرطانة والغجمة فلا أصل لحرف الحاء في البسملة إطلاقاً" (1)

وأخيراً تبقى اللغة العربية دائماً هي لغة القرآن والدين في هذا البلد الإفريقي المحب للعرب والإسلام رغم ما أصابه من استعمار وتبشير ومحاولات لطمس الهوية السنغالية والديانة الإسلامية.

3- الحضارة الإفريقية: السنغال ملتقى الحضارات

تشيد مرة أخرى على هذه الصفحات معالم حضارة ليست أقل شأناً من سابقاتها فالحضارة الإفريقية سجل حافل بالإنجازات البشرية على مر العصور ، حيث تمتاز بغزارة التراث الحضاري بشتى أنواعه الذي يخلد الآثار المعنوية والمادية التي تركتها اليد البشرية في قارة إفريقيا السمراء.

غير أن الحديث عن الحضارة الإفريقية سيرمي بالأذهان إلى الإعتقاد بعده حضارات تتموقع ضمن القارة ، من جنوبها إلى شمالها وشرقها وغربها فمثلاً "سنجد رواية "سيرابا" قد تناولت بلدين افريقيين ونقصد (الجزائر والسنغال) ولذلك وعلى سبيل الحصر ، خصصنا بحثنا وعملنا على السنغال ممثلة لحضارة إفريقية هجينة ، تعرضت لعدة ظروف ، ذكرناها آنفا فساهمت في امتزاج ثلاث حضارات عظمى.

(1) الرواية، ص 26.

إن عملنا في هذا الجزء بالذات سيكون بمثابة خلاصة لهذا الملتقى وتبيان نتيجة هذا التمازج الذي لم يقتصر على اجتماع دول مختلفة اللغات والعقائد فقط ، بل تجاوز ذلك إلى خلق "أنا" مختلفة عن "الأنا" السنغالية الأصلية ذات الطابع الإفريقي الهمجي البدائي.

3-1- إلتقاء الأديان:

من الواضح أن العارف بأصول الشعوب الإفريقية الزنجية الجنوبية سيدرك أنها لم تعرف يوماً معنى التطور والتحضر إلا من خلال الاستعمار الذي تعرضت له عبر فترات زمنية متعاقبة، كما وضعنا من قبل والسنغال واحد من هذه البلدان التي لم تجديداً من تتقبل أي وافد إليها مهما كان نوعه فحتمية عدم وجود دين واضح في هذا البلد سمحت باستقطاب الأديان على اختلافها فتشكلت ثلاثية عقائدية تنهل من الإسلام والمسحبة ومحافطة على طقوس السنغالية الغربية وقد تعايش الشعب السنغالي مع هذه الثلاثية العقائدية بصر رحب ، فلا وجود لتلك الحروب الأهلية القائمة على صراع الطوائف الدينية بل على العكس من ذلك ، فنجد الفرد السنغالي يلجأ في كل مرة إلى الاستشهاد بعقيدة والاستطباب النفسي بها حسب ما قضته حاجته في كل مرة.

فهناك من يلجأ للدعاء والصلاة أو التصدق للتخلص من هم وكرب وأحياناً يزور الكنيسة ليقرع الأجراس ويشعل الشموع وأحياناً يلجأ إلى السحر والشعوذة واستحضار الأرواح الإفريقية.

وقد صدقت إكرام لمعي حين قالت: " هو أن الدين وحي سماوي من الله أما الحضارة فهي نقاط التلاقي بين وحي الله ونشاط إنساني في مكان وزمان معينين، فعندما يلتقي الوحي الإلهي مع البشر يعيشون في إطار الزمان والمكان ، تتكون الحضارة التي تتلون بعبادات وتقاليدها ولغة وثقافة هؤلاء البشر" (1) الروائي لم يهمل الجانب العقائدي في الرواية بل أعطاه حيزاً مهماً فيها أثناء تحريك شخصياته نستشف من خلالها حياة الوثائم والاحترام السائدة في أوساط الشعب السنغالي، كما سبقت الإشارة سابقاً "وراقني كثيراً ذلك الجو الاحتفالي في الزاوية واكتشفت أن هناك

(1) رقية العلواني، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ص 174.

أشخاصا مسحيين ومسيحيات من بين الخدم يعملون عند شيخ الزاوية ، فهم يتعاملون مع بعضهم بعضا في وئام تام ، ويشتركون في أعمال تمارين تجمعهم عادات وتقاليد واحدة" (1) .

ونكتشف من خلال الرواية التنوع الثقافي والحضاري والتعايش السائد في هذا البلد الإفريقي: "كانت ليالي الزوج أعراسا وقصا وغناء وعلى نسق واحد تقريبا" (2)

فحياة البساطة بادية على وجوه الأفراد والجماعات والمتمثلة في قول الروائي : "هكذا كانت تمر الأيام والليالي وأنا أوغل في أعماق هذا البلد الإفريقي وفي البسطة التي شكلتها أيادي البدء ورسمت الحضارة الحديثة على ملامحه العذراء خطوطا وألوانا أخرى" (3)

غير أن هذه الفسيفساء الجميلة تتخلها أعمال وتمزقات مغلوطة فيها يتعلق بالأمور الدينية إلى الشعوذة والتصوف المبالغ فيه وسيطرة الطرق والزوايا الصوفية على الأذهان جعلت التدين في هذا البلد عبارة عن خليط بين الديانة الصحيحة والنزوات السطحية لا تمت للدين والعقل بصلة كما يقول "محمد شوقي" : " لا يزال التصوف أسير التصورات العامة حول الدراويش وأولياء الله الصالحين وزيارة المقابر والكرامات وغيرها من حياة التي تعد بها الإرادة في السلطة" (4) .

ف نجد شخصية الروائية "عمر لاي" الشخصية المتصوفة المتدينة قبل تغييرها تؤمن بالشعوذة ويصدق مايمليه عليه المشعوذ من خلال المقطع السردي الآتي ذكره " سرنا معه إلى بيته فأخرج كتاب متقادما في صفحته الأولى جدول الحساب الحروف ومقسما بعدد الأبراج وطلب من عمر لاي ذكر اسمه واسم أمه وقام بعملية حسابية تم فتح الكتاب وأخبره بأشياء بعضها سار وبعضها محزن" .

(1) الرواية ، ص 40.

(2) المصدر نفسه ، ص 33.

(3) المصدر نفسه ، ص 34.

(4) محمد شوقي ، الدين الذات والآخر ، ص 283.

وفي خلاصة القول: كان التدين في هذا البلد وغيرها من البلاد الإفريقية الزنجية مازال يراوح مكانه رغم أن العالم اليوم أصبح فيه الإنسان يعيش كأنه في بلاد واحد وذلك بفصل التفتح التكنولوجية الحديثة ولكن مازلنا نلاحظ من يعيش في القرن الواحد والعشرين ومن يعيش في القرن الخامس عشر فالديانة في هذا البلد (السنغال) خليط من العادات والتقاليد والشعوذة وتقديسا للأفراد والجماعات وهذا ما ينصب على الديانتين الإسلامية والمسيحية معا.

3-2- تعانق اللغات:

استطاعت الأنا السنغالية أن تحقق بشكل من الأشكال بعضا من التوازن في طريقة التواصل مع الأنا السنغالية ومع الآخر أيضا فنجد التنوع في شتى المجالات تزخر به هذه ، فنجدها تقوم على العديد من الميزات التي قد لا تتوفر في أي بلد، وخاصة الإفريقية منها، ومن أهم هذه الميزات في البلد الواحد ، وهذا زادها ثراء وعزة وتعدد الحاجات أيضا .

باختلاف الأجناس البشرية في السنغال بين مهاجرين ومسافرين ومستوطنين جمعت بينهم ظروف مختلفة ، كالتجارة والعمل والأزمات السياسية في بلدانهم الأصلية فالوافد إلى بلاد السنغال حسب ما جاء في الرواية نزل هروبا من الحروب العشرية السوداء التي أملت ببلاده الجزائر" أقرت لخطة الهروب من أجواء الموت والترقب والقرف وتشظي الذات ... وكانت فلتة الزمن أن يقذفني في أحضان إفريقيا السمراء ... لأجد الاستقرار والأمان وكثيرا من الرومانسية والحب... ولأسمع مفاجئات الكون الأولى وقد يرى في صورة أنثى تبوح بالحنين وتقضي بأسرار البداءة الأولى".⁽¹⁾

كما كان لهذا الاختلاف اللغوي نوع من التواصل الجديد لصالح الجميع لغة تجمع بين العربية والفرنسية والألوفية واللغة الأصلية للسنغال، وقد شكلت هذه اللغات مترابطة مع بعضها كلمة تواصل وسلمت عدة نشاطات بشرية لتصبح السنغال بلدا يستثمر الكفاءات البشرية على اختلافها.

(1) الرواية، ص 5.

فإذا كانت اللغة الألولفية لغة البلد ويتكلم بها أغلب سكان الوطن وأن الفرنسية هي لغة المستعمر الفرنسي الذي حاول طمس هوية البلاد والعباد كذلك لغة الديانة المسيحية التي حاولت المدارس التبشيرية غرسها في النفوس وخاصة الأطفال ، فإن اللغة العربية هي لغة القرآن والدين الوافد على هذه البلاد عن طريق الطرق الصوفية والتجارة والهجرة كما سبقت الإشارة في البحث .

والرواية لم تغفل هذا الشيخ الزاوية الأعظم يتقن عدة لغات منها العربية والفرنسية وتدرس بها في الجامعة والإمام تيام يتقن إلى جانب لغة البلد العربية: " قال: انها طالبة في الجامعة وهي غير متزوجة" (1)

أما شيخ الزاوية فهو يتقن عدة لغات كما سبقت الإشارة: " أدركت من خلال حديثه أنه رجل مثقف فعلا ثقافة واسعة وأنه متمكن من ناصية اللغة العربية ولم يخل حديثه أثناء الحوار معي من بعض العبارات بالفرنسية" (2)

فالثراء اللغوي جعل بلاد السنغال قبلة لعدد كبير من الأجانب الوافدين لهذا البلد الإفريقي سواء من أجل السياحة أو التجارة أو الدراسة : "وأحسست بالنشوة العارمة لما احتضنتني المدينة بالدفء والمطروهيات أنسام الأطلسي المفعمة بعطر فاكهة حقول المنج المجاورة ، وسحرتني روعة المكان الذي تستكن فيه جوهرة البداية، وطفقت أطوف بأرجاء المدينة بين أجناس مختلفة من البشر وفدت إلى السنغال من جميع أنحاء الدنيا من الصين ولبنان وسوريا وفرنسا وإيطاليا وغيرها" (3) .

تبقى اللغة دائما هي الوعاء الذي تتعاقب فيه وتنصهر كل مقومات الأمة الأخرى فيعتبر السنغال بحق بلاد تعاقب اللغات الفرنسية والعربية والألولفية.

(1) الرواية ، ص 28.

(2) المصدر نفسه، ص 40.

(3) المصدر نفسه، ص 5.

3-3- تمزق الأنا السنغالية :

وسط هذا الصراع القائم بين الآخر الأوروبي والآخر المسلم لم تجد "الأنا" السنغالية لنفسها موقفا تتمركز فيه ، فهي تعيش صراعا داخليا بين التمسك بالهوية السنغالية وبين التعايش مع هويات الآخر التي فرضت عليها.

فحقيقة التعايش العقائدي الذي شهدته السنغال يعد ظاهرا من باب الانفتاح على الحضارات الأخرى لكنه في حقيقة الأمر ليس إلا نتيجة سذاجة هذه "الأنا" فقيدة الهوية الدينية ، فالتاريخ يؤكد جهل هذه الشعوب الإفريقية ، وعدم شعورهم اللاوعي بالأمان النفسي لعقيدة يسندون عليها، لهذا تمزقت "الأنا" السنغالية بين عدة عقائد ومذاهب دينية ولم تجد مانعا من أن تكون قطب تجمع للأديان : "فالهويات

وهذا الحديث يقودنا للتحدث أيضا على اضطرار الأنا السنغالية في كل مرة إلى استدعاء لغة من (الأولوفية، أو الفرنسية أو العربية) للتحدث بها حسب ما اقتضى بها الحال، فقد يتحدث السنغالي في اليوم الواحد بعدة لغات وهذا ما نجده في الخطاب السردي "أنه متمكن من ناصية اللغة العربية ولم يخل حديثه أثناء الحوار معي من بعض العبارات بالفرنسية... علما بأن الشيخ كان من عادته أن يلقي كلمته بالأولوفية ولكنه ألقاها هذه المرة بالعربية"⁽¹⁾.

وهذا ما يجعل "الأنا" السنغالية فاقدة الهوية وتعايش ضياعا يثبت أداءتها اليومية الأمر الذي يجعلها أحيانا يتخللها بعض التيارات التي تثير في نفسية بعض الأفراد نوعا من التنافر والتصادم نتيجة لبعض الاختلاف الأيديولوجية والدينية التي تعديها اختلاف الديانة أو الطريقة سواء كانت مسيحية أو حتى الوثنية منها . فأصبح "الأنا" منغمسا في صراعات يذكرها بعض الأتباع أو التعصب للآراء التي تؤمن دائما بأن الحق معها ، وترفض آراء الآخرين حتى وإن كانت من الكتاب والسنة أو من الإنجيل أو كما يقول : محمد شوقي: " لأن الغالب مع هذا الأصل هو ممارسة

(1) الرواية ، ص 40 ، 42.

الإقصاء والتحجر أو التهيب والتطرق سواء على صعيد المعتقد أو في ساحة التمثيل السياسي والحديث باسم الكل"⁽¹⁾

وهذه الحقيقة لا تقتصر على بلاد السنغال وحده بل ما شاهدهه أغلب بلدان العالم الثالث تحت شعارات مختلفة منها تغيير الإنسان وتحريره وأحيانا يأخذ طابع العنف ويضحى بالناس أفراد أو جماعات لصالح مبدأ مستحيل ولعل هذا ما أشار إليه المفكر اللبناني "على حرب" : "يضحي بالناس أفراد وجماعات لصالح مبدأ مستحيل أو معتقد قاتل أو حزب إرهابي أو نخبة أو زعيم أوحد وقائد مستبد"⁽²⁾

وقد أشار السارد في الرواية إلى هذا الصراع وخاصة بين الأحزاب السياسية والزوايا وهذا ما نجده في المقطع السردى الآتي ذكره: " شرعت أطالع جريدة الأحداث التي اشتريتها من أحد الأكشاك ، وشدني مقال مهم يجسد الصراع القائم بين الأحزاب السياسية والطرق الصوفية سيما الطريقة التيجانية المهيمنة هناك، وتراها بعض الأحزاب مصدرا للفقر والبؤس لاستيلائها على معظم واردات الوطن، كان المقال هجوما على شيخها الذي نعته صاحب المقال بأنه بالوعة للسيف في السنغال ."

فالصراع بين الزوايا يتجول في بعض من المواطن إلى صراع بين الموردين التقديس أحيانا .

ربما كان الاختلاف بينه وبين تيام أساسه اختلاف الزاويتين اللتين لا تتفقان حيث قال لي تيام قادحا في شيخ زاوية عمر لاي "إنه إنسان جاهل وأمي وليس له علم فهو مدع وزنديق"⁽³⁾

وخاصة إذا علمنا بأن الدين في هذا البلد كما سبقت الإشارة إليه في مواضع أخرى تتخلله الكثير من الشوائب والبدع والخرافات والشعوذة وضعف الإيمان قال إن سريرته خبيثة وإيمانه

(1) محمد شوقي، الذات والآخر ، ص 158.

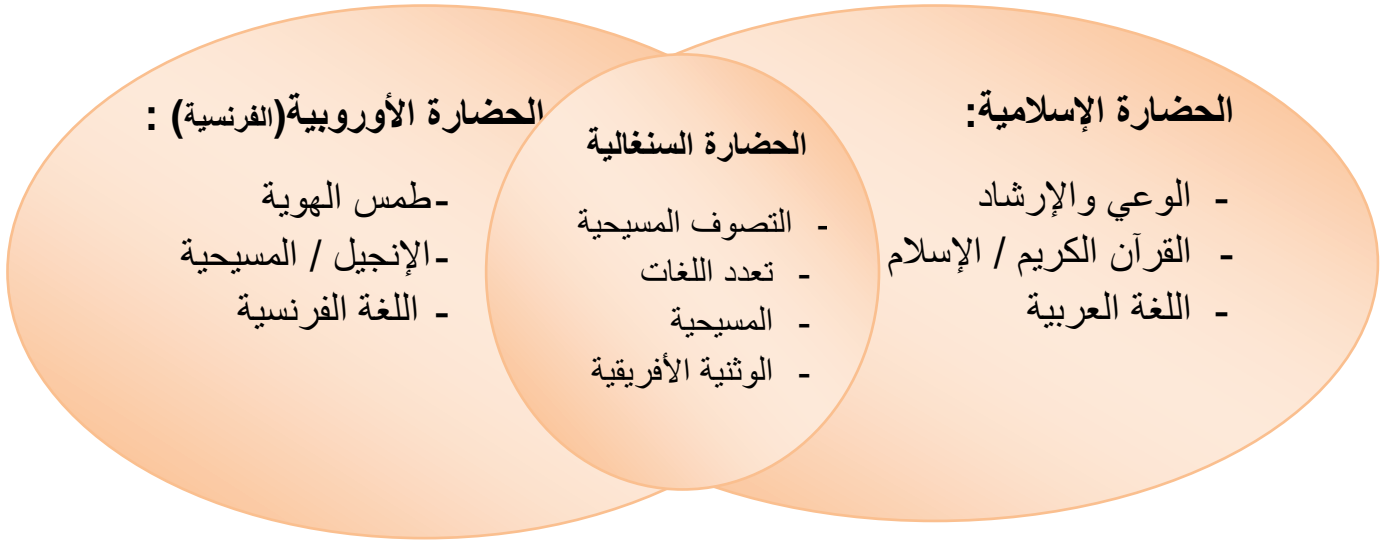
(2) علي حرب، الأحكام الأصولية والشعائر التقدمية ، مصادر المشروع الثقافي العربي سياسة الفكر ، د. مركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط1، 2001، ص 115.

(3) الرواية ، ص 53.

سطحي وظاهره ليس كباطنه ولقد عرفته على حقيقته وأنت الآن لا تدرك نفسيات الناس في السنغال" (1)

وعليه فإن الأنا مهما تعددت مشاربها الوطنية والدينية ، لابد لها أن تشدد على دينها ولغتها فإنها ستعاني الضياع وسيطوؤها التشوه والاختلال ، وقد يؤدي بها هذا إما ثبوتها وتحديد مكان لها في مسار العقائد والحضارات وإما التيه الأبدي وفقدان الهوية.

مخطط تمثيلي يوضح علاقة التأثير والتأثير في بؤرة الالتقاء الحضاري



نصل في الأخير إلى توضيح العلاقة القائمة بين ثلاثية الحضارات الإسلامية والأوروبية والإفريقية ، فبعد الإسهاب في الفصول السابقة في شرح طبيعة الصراع القائم في دواخل الأنا والآخر والذي ينطوي تحت صراع أكبر متمثل في الصراع الحضاري الذي صورته الرواية في صورة الإسلام والمسيحية والوثنية الأفريقية ، ها نحن الآن نستشف في هذا المخطط التوضيحي علاقة التأثير والتأثير التي أشرنا إليها في بداية الأمر .

(1) الرواية ، ص 90 .

تتضح جليا من خلال هذا المخطط بؤرة الالتقاء الحضاري الثلاثي متمثلة في الحضارة السنغالية ، وقد تعمدنا تسميتها الحضارة السنغالية عوض الأفريقية، كما ألفنا القول في السطور الأولى من العمل ، وهذا أن الحضارة السنغالية هي الوليد الجديد الذي نجم عن تمخض الحضارة الأفريقية نتيجة تزاوج الحضارتين الإسلامية والأوروبية.

فالسنگال اختزلت كل هذه المعالم وبرزت بكيان جديد لتواجه العالم تحت تحدي الاختلاف.

لقد اعتبرت السنغال من خلال هذا التجانس علما صغيرا يجمع عديد الأعراق باختلاف حمولتها ، غير أن جهل "الأنا السنغالية" أوقعها في كثير من المتاهات فمن الواضح أن فهمها المغلوط لتعاليم الدين أدى بها إلى تبني الجزء من الكل ونعني اتباعها مذاهب صوفية، مذاهب تشويها الشكوك والانحرافات زيادة إلى الاضطراب الذي تعيشه جراء تعدد اللغات وانشطار النفس التائهة بين المسيحية والوثنية واللجوء لطقوس السحر والشعوذة بحثا عن الاطمئنان النفسي ، وملا ذلك الفراغ الذي خلقته أسئلة على مر العصور بإجابات خرافية تنافي العقل والمنطق ، لتعكس لنا الروح السنغالية التي لم تنشأ أن تتنصل من هويتها الحقيقية القائمة على المبدأ الأسطوري.

وعليه يمكننا القول ، إن علاقة التأثير كانت علاقة حتمية غير متوقعة ولأن الأنا السنغالية لم تكن مستعدة لاستقبال موجة التأثير التي فرضت عليها ، فظلت تتلاطمها أمواج التغيير والاختلاف حتى رمتها على شاطئ الحضارة السنغالية غير مضبوطة الهوية والمعالم.

إن الصراع الحضاري الناجم عن التقاء ثلاث حضارات عظمى هو في حقيقة الأمر صراع مبني على البحث عن الهوية الضائعة ، والهوية الجشعة التي تسعى إلى بسط سيطرتها على أوسع نطاق أمكنها الوصول إليه فتشاكل الهوية الإسلامية والهوية الأوروبية والهوية الإفريقية ألقى جملة من الاحتمالات تراوحت بين العبث بالدين واللغة والأنا بما تحمله من قيم ومبادئ وعادات وتقاليد.

خاتمة



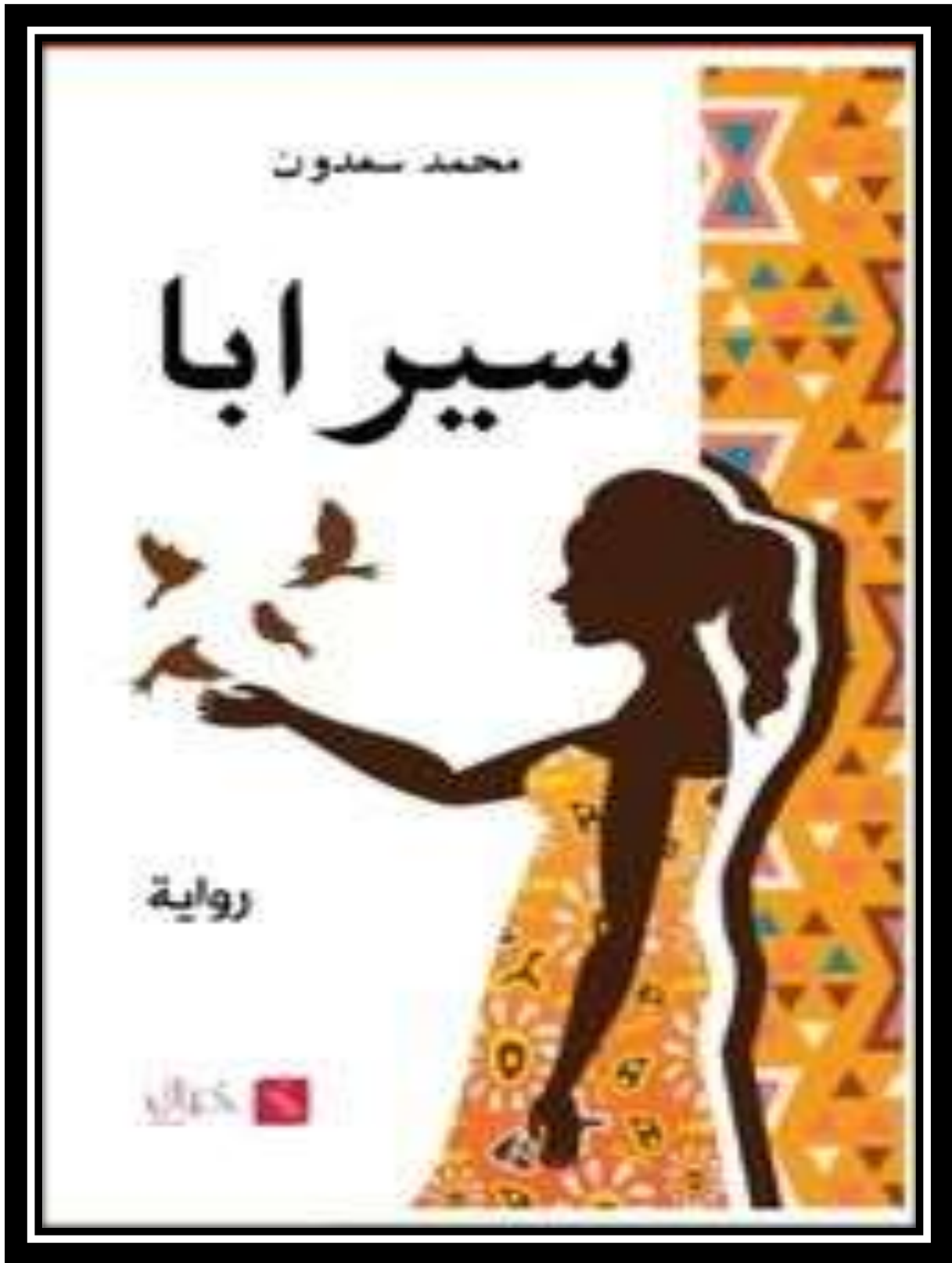
- وفي نهاية رحلة بحثنا وبعد جهد مضني بين المطالعة والتنقيب والتمحيص والغوص في أغوار الكتب ، وما يحوم حول ثنائية الآخر والأنا نقف عند أبرز النتائج المتوصل إليها:
- إن مفهوم الآخر يعد فرعاً من الفروع المهمة التي يركز عليها علم الصورولوجيا المندرج ضمن الأدب المقارن.
 - نشأت فكرة الآخر عند الغرب على يد مدام دوستايل ثم تطورت اثر موجات التوسع الكولينيالي.
 - أما عربياً فقد كانت البوادر الأولى ضاربة بجذورها منذ القدم وأخذت تتطور عبر الزمن وصولاً إلى الدراسات المعاصرة وعلى رأسها أبحاث إدوارد سعيد .
 - تنبني علاقة الأنا بالآخر على مبدأ التكامل ، فلا وجود للأنا معزولة عن الآخر.
 - تمحورت الجدلية القائمة بين الآخر والأنا في رواية "سيرابا لمحمد سعدون" على ثلاثة صور حيث تمركزت حول الآخر في ذوات محورية أهمها الآخر المؤثر والمتأثر والدخيل.
 - يعد الآخر الفرنسي بمختلف مقوماته وتفصيله طرفاً مؤثراً ضمن ثنائية الأنا السنغالي والآخر الفرنسي.
 - ارتكزت محاور الآخر في رواية سيرابا حول ثلاثة نقاط أهمها المعمار الفرنسي واللغة والعادات باعتبارها من مقومات كل دولة .
 - تشكلت صورة الآخر المتأثر بالنسبة " للأنا الفرنسية" على هيئة ذوات تحمل تعكس شخصية الأنا السنغالية (وهي الذات المتحررة والذات المرتدة والذات الثابتة والذات المتدينة).
 - الآخر الدخيل كان بمثابة الفعل المحرك للأحداث ونقطة .
 - تراوح صراع الحضارات بين محاولات فرنسية لإقصاء الأنا السنغالية وبين سعي إسلامي لتصحيح المفاهيم المغلوطة التي نشأت عليها الأنا السنغالية .
 - إن السنغال بكل ما تحمله من صور مختلفة للآخر استطاعت أن تكون يورة الصراع الحضاري ، فتمازجت فيها الصور وخلفت كيانا جديدا يعانى صراع الضياع والإختلاف.

- التقاء الأديان في السنغال كان نتيجة حتمية انجزت عن عدم تقبل كل أنا للأخر بعد محاولات للحفاظ على معتقداته.

- إن الحديث في هذا الموضوع ذو شجون ولا ينتهي بذكره لهذه التفاصيل وحسب ، بل إن متابعة الرصد فيه لا محاولة منها ، خاصة وأن فكرة الآخر والأنا لا تتخلص في بحث أو عدة أبحاث ، بل إنها فكرة حية صالحة في كل زمان وعلى أي منجز أدبي يشتغل على المركز والهامش.

ملحق





الملحق رقم 02: التعريف بالروائي

ولد محمد سعدون يوم 29 جانفي 1954 بسيدي خالد ولاية بسكرة التحق كعادة أقرانه في ذلك الوقت بالكتاكت فتتلمذ على يد الشيخ طالب الحفناوي بالوسن والشيخ الطاهر مغازي بسيدي خالد رحمهما الله.

بعد انتقال الأسرة إلى الجزائر العاصمة بدأ مرحلة التعليم الابتدائي بمدرسة الرايس حميدو لمدة عامين (1963-1964) ليعود إلى سيدي خالد وينال بها شهادة التعليم الابتدائي باللغتين العربية والفرنسية سنة 1968.

ليتوجه بعدها إلى ثانوية عباس لغرور باتنة ليكمل مرحلتي التعليم المتوسط والثانوي فنال شهادة التعليم المتوسط سنة 1973 ثم شهادة التعليم الثانوي شعبة الأدب العربي سنة 1976.

التحق بالمعهد التكنولوجي بداية من سنة 1977 ليتخرج منه بعد عام ويمارس مهنة التعليم كأستاذ تعليم متوسط في مادة اللغة العربية إلى غاية سنة 1980 وبعدها عاد إلى جامعة باتنة ليتحصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي سنة 1984 ليبدأ التعليم في ثانوية علي ملاح بورقلة لسنتي 1984-1985 ليعود إلى أولاد جلال ويدرس بثانوية السماقي محمد بن العابد وثانوية شقرة بن صالح سيدي خالد.

بداية من سنة 1996 تحول إلى المسيلة ليدرس بثانوية عبد الحميد علاهم إلى غاية سنة 2000 ليبدأ بعد ذلك حياة جديدة كمدير للعديد من المتوسطات بالمسيلة بعد أن تلقى تكويننا في قسنطينة .

في سنة 2008 نجح في مسابقة الماجستير بجامعة محمد خيضر بسكرة ليناقشها سنة

2010 وكان بحثه موسوما ب (الشعرية في ديوان بدر شاعر السياب)

أثرى المكتبة الوطنية بالعديد من المؤلفات منها:

1. جمالية التلقي واختلاف قراءات النقاد في شعر بدر شاكر السياب.
2. المختصر في المنهجية البحث الأدبي سنة 2019.
3. الإستراتيجية الشعرية عند بدر شاكر السياب دراسة سنة 2020.
4. طقوس الشعرية المعاصرة أصولها وأبعادها المعرفية .
5. تجليات النص من زوايا نقدية .
6. ترجمة ديوان محمد ديب (ظل حارس) سنة 2019.
7. سيرابا 2019.
8. مختارات من الشعر الفرنسي 2020.⁽¹⁾

(¹) مقابلة هاتفية مع الروائي محمد سعدون : 2021/05/03 الساعة 17:30.

الملحق رقم 03: ملخص الرواية

تسرد الرواية: قصة شاب جزائري مثقف يغادر الجزائر إبان العشرية السوداء التي أملت بالجزائر بعد انتخابات 1991 ويتوجه إلى السنغال وأثناء الرحلة تصادفه عدة مشاكل وعقبات ويهوس في حب فتاة السنغالية "سيرابا" ذات الجمال الإفريقي الأخاذ، وهي فتاة مثقفة تدرس بجامعة "دكار" رغم العوز التي كانت فيه.

وفي أثناء الرحلة القادمة من فرنسا عن طريق الجزائر المتوجهة إلى دكار "عاصمة السنغال" يمتطي الشاب الطائرة وفيها يلتقي بشلة من شباب الفرنسيين الذين يملؤون الطائرة هرجا ومرجا وعند الوصول ينزل بفندق السلام الواقع في "شارع الحيرية"، وبعد الإجراءات الفندقية وأخذ قسطا من الراحة يخرج يتجول في شوارع المدينة معجبا بما تزخر به من معالم أثرية وسياحية تشمل عدة حضارات إفريقية وإسلامية ومسيحية .

وفجأة يتقد حافظة نقوده فلم يجدها ، فيجن جنونه ويهيم على وجهه متفقدا الأماكن التي زارها والتي توقف عندها ولكن دون جدوى ، حتى صاحب الفندق طرده لأنه لم يدفع ثمن الإقامة في اليوم الموالي ، ومن حسن حظه أن أوراقه الثبوتية يأخذها معه أثناء التجوال وكذلك دفعه ثمن التذكرة في الطائرة ذهابا وإيابا وإلا كانت الكارثة ، فتوجه إلى قنصلية الجزائر فلم يجد أحدا.

هو كذلك وإذا بشاب من السنغال جاء إلى القنصلية ويتعرف على الشاب ويهدأ من روعه ويشرح عليه المبيت معه عند شيخ الزاوية التي يقيم فيها وهو "عمر لاي" ولكن الاقتراح رفض ذلك بحجة عدم الأمان وأثناء العودة يصادفهم مجموعة من الشباب لأنه يملك بطاقة الإنخراط العالمية ، وكانت الإجابة بالنفي ، وهذه الأثناء كانت الفتاة "سيرابا" مع المجموعة فاقترحت عليهما حلا وطلبا منهما إتباعها وهذه الأثناء يقع الشاب في شباك حبها دون البوح بذلك وتتوجه بهما إلى السيد يدعى تام وهو امام الشيخ الأعظم في القرية ومعلم الصبية يقيم مع زوجته "ماري"

فرحب بهما ويقترح على الشاب المبيت عنده وفي الغد سيجد له حلا عند شيخ الزاوية الأكبر في "وكام" عاصمة السنغال.

يرحب الشيخ بالضيف ويقترح عليه العمل كمعلم للصبية بعد أن أعجب به وثقافته فيقبل ويشرع في العمل في الأيام القادمة كما يتعهد بزيارة الزاوية كل يومي الخميس والجمعة رفقة تام وزوجته ماري لأنهما يومان يجتمع فيه موردي الزاوية من كل مكان ويستمعون إلى "روس" شيخ الزاوية وحل مشاكلهم لأن للزاوية في السنغال دورا كبيرا ولكن هذا العمل لم يبعد الشاب عن حب سيرابا رغم انها تزوجت بصديقه "عمر لاي" ، فيقع معها في عملية شيق وتنجب منه ولدا لأنه ولد أبيض وشعره أشقر ويرفض عمر لاي الولد رغم التبريرات الدينية والبيولوجية ويقرر مغادرة السنغال من أجل حياة أفضل ، ويقرر ارسال ورقة الطلاق "لسيرابا" وتتزوج سيرابا من جديد بأستاذها الفرنسي وتسافر معه إلى فرنسا ولكنه غدرها وتركها في بلاد الغربة تعاني آلام الفراق فتقرر العودة إلى دكار أملا في العودة من جديد لتأخذ حقها من زوجها.

أما الشاب الجزائري فبقي مكسور الجانب ، يعيش في متاهات الغواية وطريق الشيطان ويقف ممزق الوجدان يطارد الوهم ويقرر العودة إلى الجزائر بعد أن عاد طليق سيرابا الأول "عمر لاي" وقرر المكوث في السنغال نهائيا.

فالقصة فعلا مشوقة تظهر لنا الصراع القائم بين الحضارة الإفريقية والإسلامية والأوروبية وتعبر عن طقوس روحية، حدمت فيها شتى العواطف الإنسانية المتضاربة ، بأسلوب يمزج بين الرمزية. والرومنسية والصوفية السريالية.

قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم : برواية حفص

المصادر:

محمد سعدون ، رواية سيرابا ، دار الخيل ، برج بوعريبيج ، الجزائر ، ط1، 2019.

المراجع:

أولا : المعاجم والقواميس اللغوية

- 1- إبراهيم أنيس وآخرون ، معجم الوسيط ، دار الشرق ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1973.
- 2- أحمد بن محمد الغيومى، المصباح المنبر في غريب الشرح الكبير (مادة دخل)، ط1، دار الفكر، بيروت 1462هـ/2005م .
- 3- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، د/الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الجزء الأول، ط1، 1424هـ/2003
- 4- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مقدمة الطبعة الأولى، (مادة دخل)، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر 1425هـ/2004م .
- 5- مرتضى الزبيدي، تاج العروس، المجلد 9، دار الفكر للطباعة ، بيروت لبنان ، د ن ط، 1994.
- 6- ابن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، المجلد الأول، الطبعة الأولى، 1997
- 7- الفيروز أبادي ، قاموس المحيط ، تر : محمد نعيم العرقسوسي، الرسالة ناشرون ، ط8، 2005.

قائمة المصادر والمراجع

ثانيا : المراجع العربية:

- 10- سعد محمد يونس الراشدي، الآخر في شعر المتنبي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن، ط1، 2016.
- 11- صلاح صالح ، سرد الآخر ، الأنا والآخر عبر اللغة السرديّة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 2016.
- 12- عمر وعبد العلي علام، الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم للنشر والتوزيع ، دون بلد، ط1، يناير، 2005.
- 13- علي حرب، الأحكام الأصولية والشعائر التقدمية ، مصادر المشروع الثقافي العربي سياسة الفكر . المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط1، 2001.
- 14- علي ليلة، الأمن القومي العربي في عصر العولمة، اختراق الثقافة وتبديد الهوية مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ، مصر ، ط1، 2012، ص 93.
- 15- ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربية، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 1431هـ/2010.
- 16- ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتابة، دار العرب، د.ط، 2000.
- 17- محمد الداوي: صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع ، ط1، 2013.
- 18- محمد شوقي الزين، الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل السياسية و الواقع، د.الأمان الرباط، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ/2012م.
- 19- أحمد الإدريسي ، خطبة الجمعة ، من أنواع البصائر إلى صداع الحناجر ، دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان ، 1971، ص 61.

قائمة المصادر والمراجع

- 20- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب ، التراث والتجديد موقفنا من التراث الغربي، دار. الفنية ، للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1، 1411هـ/1991م.
- 21- رقية العلواني وآخرون: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير : منى أبو الفضل، نادية محمود مصطفى، دمشق، دار الفكر، 2007.

ثالثا: المراجع المترجمة

- 22- فيلهو هارلي وآخرون، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه تعريب الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية .
- 23- طوني بينيت ، لورانس غروسيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ، ت.ر، سعيد الغانمي ، المنظمة العربية لترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2010.
- 24- سيجموند فرويد، الأنا والهو ، محمد عثمان نجاتي ، دار الشرق ، بيروت ، ط4، 1402هـ/1982.
- 25- جان بول سارثر، الوجودية مذهب إنساني ، تر ، عبد المنعم الحنفي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط1، 1924.

رابعا: المجالات:

- 26- إبرير الظاهر وبنادي محمد الطاهر، الحضارة في ذكر مالك بن نبي ، مجلة الفكر المتوسطي ، العدد 2 (2020م)، المجلد 09.
- 27- صالح بن عويد الحربي، دراسات صورة الآخر في الأدب العربي وأثر إدوارد سعيد، دراسة مقارنة، مجلد جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية ، السنة السابعة، العدد 20، 1441.

قائمة المصادر والمراجع

خامسا: ملتقيات

28- زهيرة مزارة، القراءة للتراث والهوية في زمن العولمة ، يوم: 27 فيفري 2017 ، جامعة الجيلالي بونعامة (خميس مليانة)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية ، يوم 27 فيفري 2017

سادسا: الرسائل الجامعية

29- جميلة بنت عيادة الشمري، مفهوم الثقافة في الفكر العربي والفكر الغربي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الثقافة الإسلامية ، كلية الشريعة ، قسم الثقافة ، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية ، د و ت .

30- عبد الله بوقرن ، الآخر في جدلية التاريخ عند هيجل ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه للعلوم في الفلسفة ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2007.

31- مازية حاج علي ، الهوية وسرد الآخر في رواية غسان كنفاني، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ، lmd ، الأدب واللغة العربية ، جامعة محمد خيضر بسكرة .

سابعا : الموسوعات

32- جمامي جيار ، موسوعة مصطلحات ، الفكر النقدي العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، مكتبة ناشرون ، لبنان ، مجلد 1، 2004

ثامنا: المواقع الإلكترونية

33- 20/05/2021 Ara.culturell.com ، 11:40.

تاسعا: المقابلات

34- مقابلة هاتفية مع د/ محمد سعدون: 2021 /05/03 ، الساعة 17:30.

فهرس الموضوعات



الصفحة	فهرس الموضوعات	الرقم
	الشكر والعرفان	01
	إهداء	02
أ-ج	مقدمة	03
5	تمهيد الصورولوجيا	04
	الفصل الأول: الآخر بين المفهوم والنشأة	05
11	تمهيد	06
11	أولاً: 1 / مفهوم الآخر	07
11	أ- لغة	08
12	ب- اصطلاحا	09
14	2- مفهوم الأنا	10
14	أ- لغة	11
15	ب- إصطلاحا	12
17	ثانياً: نشأة الآخر	13
17	أ- في العالم الغربي	14
19	ب- في العالم العربي	15
24	ثالثاً- علاقة الآخر بالأنا	16
	الفصل الثاني تجليات الآخر في رواية "سيرابا" لـ "محمد سعدون"	17
30	أولاً- جدلية الآخر والأنا في رواية سيرابا	18
30	1- صورة الآخر المؤثر:	19
30	أ- المعمار الفرنسي	20
32	ب- اللغة الفرنسية	21

33	ج- العادات الفرنسية	22
35	2- صورة الآخر المتأثر (الآخر بالنسبة للأنا الفرنسية):	23
35	أ-الذات المتحررة (سيرابا)	24
37	ب- الذات المتقلبة (عمر لاي)	25
39	ج- الذات الثابتة (تيام)	26
41	د- الذات المتدنية (الشيخ)	27
42	3- الآخر الدخيل / المغترب:	28
42	أ- الدخيل المثقف	29
44	ب- الدخيل خطيئة(الخيانة)	30
45	ج- الدخيل المتردد	31
	الفصل الثالث:	32
	صراع الحضارات في ظل ثنائية الآخر والأنا	
51	أولا - صراع الحضارات في ظل ثنائية الآخر والأنا	33
52	1- الحضارة الأوروبية : فرنسا نحو طمس الهوية السنغالية	34
53	1-1- الدين المسيحي	35
55	1-2- التواجد الفرنسي الاستعماري .	36
57	2- الحضارة الإسلامية : الوعي والتنوير	37
58	1-2- الدين الإسلامي	38
60	2-2- اللغة العربية (مكسب ديني)	39
62	3- الحضارة الإفريقية : السنغال ملتقى الحضارات	40
63	1-3- التقاء الأديان	41
65	2-3- تعانق اللغات	42
67	3-3- تمزق الأنا السنغالية .	43
76	خاتمة	44

فهرس الموضوعات

78	الملاحق	45
84	قائمة المصادر والمراجع	46
89	فهرس الموضوعات	47

ملخص الدراسة :

تبدو لنا دراسة الآخر من أهم العوامل التي تسهم في بناء شخصية الإنسان ، وتزيده فهما لذاته وللآخر معا ، كما تعمل على توسيع أفاق الكتابة والتفكير، ومن هنا انطلقت دراستنا وتمحورت حول الآخر في رواية "سيرابا" للروائي الجزائري محمد سعدون، بغية إظهار الصراع بين الحضارات الثلاث الأوروبية والغربية والإفريقية، معتمدين في ذلك كله على ما احتوته الرواية من أحداث ومعالم أثرية وشخصيات تباينت الاتجاهات والمشارب بينها.

الكلمات المفتاحية: الآخر ، الأنا ، صراع الحضارات

Study summary :

The study of the other seems to us one of the most important factors that contribute to building a person's personality , and increases his understanding of himself and the others too , and it works on expanding the horizons of writing and thinking. And from here our studies started and was based about the other in the novel of 'seraba' by the algerian author mohamed sadouan , on the hope of showing the conflict between the three (european , arabic and african), relying on all that was contained in the novel of enents , archaeological landmarks, and characters whose trends and tendencies varied among them .

Keywords : the other, the ego ,the clash of civilizations.